



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حمه لخضر - بالوادي -



كلية الآداب واللغات
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

موضوع المذكرة :

النقد التاريخي في كتابات أبي القاسم سعد الله

كتاب « دراسات في الأدب الجزائري الحديث »
أنموذجاً

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : نقد عربي حديث ومعاصر

تحت إشراف :

- أ.د حمزة حمادة

إعداد الطلبة :

✓ العروسي رقيبة

✓ العيد حميداتو

✓ مبروك دبار

أعضاء لجنة المناقشة :

الصفة	الجامعة	الرتبة	الأستاذ
رئيسا	جامعة حمه لخضر الوادي	أستاذ محاضر	د. حسين مشارة
مشرفا	جامعة حمه لخضر الوادي	أستاذ محاضر	أ.د حمزة حمادة
مناقشا	جامعة حمه لخضر الوادي	أستاذ محاضر	أ.د زينب قوني

الموسم الجامعي : (1444-1445 هـ / 2023-2024 م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ

فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة يونس: الآية 10)



شكر و عرفان

نتوجه بالشكر إلى الأساتذة الكرام الذين لم يبخلوا

علينا بعلمهم، ولم يدخروا جهداً في سبيل المعرفة والعلم

إلى الأستاذ الدكتور: حمادة حمزة الذي مد لنا يد

العون، وذل لنا كل عسير، وأخذ بيدنا ونحن نخطو

خطواتنا الأولى في هذا الميدان الصعب.

والشكر موصول إلى إدارة الجامعة التي ذلت لنا الصعوبات

من أجل إنجاز هذه الرسالة بجودة وكفاءة

والله العظيم نسأل أن يجازيهم بإحسانهم إحساناً

وأن ينفع ببحثنا هذا البلاد والعباد.

وهكذا فإن حبال الفضل والإحسان تبقى، وما الشكر والإهداء

في البحث العلمي إلا علامة على بقاء الخير والتقدير لأولي الفضائل

والإحسان

العيد حميداتو-العروسي رقيعة – مبروك دبار

مقدمة

إن غزارة الإنتاج الأدبي سواء العربي أو العالمي أسالت حبر الكثير من النقاد والدارسين للظواهر الأدبية شعراً كان جنسه أو نثراً . ومن هنا نشأت الحاجة إلى خلق معايير أو بالأحرى منهجاً يلجؤون إليه عند حكمهم على أي عمل أدبي، ومن بين هذه المناهج النقدية التي كان لها حضوراً كبيراً في الأوساط العلمية والنقدية خاصة، هو المنهج التاريخي، وقد استهوى هذا المنهج عديد النقاد العرب والجزائريين أمثال: طه حسين، العقاد، عبد الله الركيبي، محمد ناصر، صالح خرفي، أبو القاسم سعد الله.

هذا الأخير الذي استطاع أن يكون مدونة مهمة للاشتغال عليها من قبل الأجيال المتلاحقة من النقاد الذين دأبوا على دراستها وتحليلها وتصنيفها وتقويمها محاولين استخراج مسارات النقد الجزائري من خلالها.

ونحن من خلال بحثنا هذا أردنا أن نقف على مدى التزام سعد الله بالمنهج النقدي التاريخي في كتاباته، وعن قدرته على الجمع بين التاريخ والأدب، ومدى تحقيقه لأدوات منهج النقد التاريخي. فجاء بحثنا بعنوان:

" النقد التاريخي في كتابات أبي القاسم سعد الله كتاب (دراسات في الأدب الجزائري الحديث) أنموذجاً".

أما عن دوافع الكتابة في هذا الموضوع، فكانت بسبب نزعتين: نزعة شخصية عاطفية هو التأريخ لأدب جزائري صرف، وكذا تأثراً بشخصية تاريخية مثل شخصية أبي القاسم سعد الله، أما الأسباب الموضوعية فتمثلت في محاولة تبيان قدرات الكاتب المؤرخ، والمؤرخ الكاتب، وعبرية الجمع بين الأدب والتاريخ والنقد.

حيث تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أسبقية الدكتور أبو القاسم سعد الله لاستخدام المنهج التاريخي في النقد، وكذا التعمق في الإنتاج الأدبي الجزائري المتواري خلف الإهمال واللامبالاة.

وعليه فإن إشكالية النقد التاريخي في كتابات أبي القاسم سعد الله تعد من الموضوعات الهامة التي تستحق الدراسة العميقة، لا سيما في كتابه "دراسات في الأدب

الجزائري الحديث". إذ تتجلى هذه الإشكالية في كيفية تعامله مع الأحداث التاريخية والشخصيات الأدبية، والطريقة التي يدمج بها بين التحليل الأدبي والتاريخي. ويتساءل العديد من الباحثين عن مدى دقة وصحة المعلومات التاريخية التي يقدمها سعد الله، وكيفية توظيفها في نقده للأدب الجزائري. وهل يعتمد على مصادر موثوقة ومتنوعة؟ وكيف يؤثر ذلك على تقييمه للأعمال الأدبية والشخصيات التي يتناولها؟ إذ تعد هذه التساؤلات محورية لفهم منهج سعد الله في النقد التاريخي، ومدى إسهامه في إثراء الأدب الجزائري وفهمنا لتاريخه الأدبي.

و للإجابة عن هذه الإشكالية، اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى الخطة الآتية: مقدمة وفصلين، الفصل الأول: جاء بعنوان النقد التاريخي وخصائصه ورواده من الغرب و رواده من الكتاب العرب والجزائريين ، أما الفصل الثاني فعنوانه : تجليات النقد التاريخي في كتاب " دراسات في الأدب الجزائري الحديث " لأبي القاسم سعد الله، متعرضين فيه إلى حياة أبي القاسم سعد الله، مصطلحات وأدوات النقد التاريخي عنده، وشواهد استخدامها في موضوعات الكتاب، و كانت درجة تناولنا لكل موضوع بحسب أهمية موضوع الدراسة، وأنهينا الدراسة بخاتمة، تضمنت النتائج التي توصل إليها البحث مع توصيات الدراسة.

اقتضت طبيعة الموضوع، توظيف المنهج التاريخي والوصفي، تاريخي لأنه هو المنهج المناسب لتتبع ماهية النقد التاريخي وانتشاره، والوصفي في التعرض إلى تجليات النقد التاريخي في موضوعات المدونة المدروسة، معتمدين في ذلك على عدة مراجع أخذنا منها مادة بحثنا، أهمها: كتاب دراسات في الأدب الجزائري الحديث لأبي القاسم سعد الله، كتاب النقد الجزائري المعاصر للدكتور يوسف وغليسي ، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية لمحمد ناصر.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازنا لهذا الموضوع فكان أهمها: الانقطاع الطويل عن البحث العلمي والأكاديمي، وعدم دراستنا لمقياس المنهجية خلال مسارنا

الدراسي، وكذا صعوبة التوفيق بين العمل والبحث العلمي، مما أثر على المردود العلمي الذي كنا نطمح إلى تقديمه في صورة أرقى و أشمل. وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في دراستنا هاته، و أسهمنا في إيصال فكرة الموضوع للقارئ. كما نتقدم بالشكر الخالص للمشرف الأستاذ الدكتور: حمزة حمادة على إشرافه على هذه المذكرة والذي أرشدنا بنصائحه القيمة لإتمام هذا البحث. فإليه كل الشكر والعرفان دون أن ننسى أعضاء لجنة المناقشة التي تجشمت عناء قراءة المذكرة وتصويبها ونسأل الله التوفيق والنجاح.

العروسي رقيعة

العيد حميداتو

مبروك دبار

جوان 2024.

الفصل الأول :

النقد التاريخي الخصائص والرواد

المبحث الأول : مفهوم المنهج التاريخي ماهيته وخصائصه.

المبحث الثاني : رواد النقد التاريخي عند الغرب

المبحث الثالث : رواد النقد التاريخي عند العرب

المبحث الرابع: رواد النقد التاريخي في الجزائر

تمهيد

إن للمنهج التاريخي أهمية بالغة، إذ لا يتوقف عند الأحداث الماضية في دراسة الظواهر العلمية، بل يتابع دراستها في التوصل إلى دلالات نصل بها إلى فهم الحاضر وتنبؤ المستقبل، وهذا راجع إلى أن المنهج التاريخي يساهم في الكشف عن النظريات العلمية وحقيقتها وأسسها، وزمن ظهورها وعلاقتها بالظواهر الحالية، كما يبحث في جميع مجالات الحياة التي يواجهها الانسان والظروف التي عايشها في الماضي وأساليب التغلب عليها.

ولأهمية المنهج التاريخي فقد استخدمته مختلف العلوم لكونه قادرا على فهم وتحليل القضايا والتأصيل للحقائق. فكان حريا بأن يستخدمه الأدباء والنقاد في دراساتهم، ويساعدهم في التعرف على الأحداث المؤثرة في العمل الأدبي.

المبحث الاول: المنهج التاريخي ماهيته وخصائصه

1- تعريف المنهج التاريخي:

يتكون المنهج التاريخي من شقين هما المنهج و التاريخ ولكل منهما دلالاته الخاصة إن تم تناولهما منفصلين، وقد حاولنا تحديد الدلالة اللغوية لكل منهما، حيث أن المعاجم تعرف :

المنهج لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور تعريفه المنهج أن المَنْهَجَ والمَنْهَاجَ : هو الطريق الواضح ، والنهَج بتسكين الهاء هو الطريق السليم حيث يقول ابن منظور (ت 711 هـ) طريق نَهَجٌ بين واضح وهو النَّهَجُ...، وأَنْهَجَ الطريق وضح واستبان وصار نهجا بينا واضحا ، وفي كلام العرب : إنه رجل ينهج أي يربو من السمن ويلهث ، وأنهجت الدابة ، صارت كذلك وضربه حتى أنهج أي إنبسط وقيل بكى ونهج الثوب ، ونَهَجَ فهو نَهَجٌ ، وَأَنْهَجَ بلى ولم يتشقق وَأَنْهَجَهُ البلى فهو مَنهَجٌ .

وقال ابن الأعرابي : فيه البلى واستطار وأنشد من بحر السريع.

كَالثَّوْبِ أَنْهَجَ فِيهِ الْبَلَى أَعْيَا عَلَى ذِي الْحَيْلَةِ الصَّانِعِ

ولا يقال : نهج الثوب ، ولكن نَهَجَ وَأَنْهَجَتِ الثوب فهو منهج أي أخلفته قال أبو عبيدة بن المثنى (209 هـ) : " الثوب النهج الذي أسرع فيه البلى " (1) .

وإضافة إلى تعريف ابن منظور لمادة نهج نجد الفراهيدي يعرفه على النحو التالي "طريق: نَهَجٌ واسع واضح وطرق نهجه ونهج الأمر وَأَنْهَجَ لغتان : أي وضح ، ومنهج الطريق ، وضحه والمنهاج الطريق الواضح ، استضيئ : أمضى على سنة منه ومنهاج" (2) .

ويقول الجوهري : أَنْهَجَ الثوب إذا أخذ في البلى ، بن الحساس، من بحر الطويل.

فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدُ بِأَلْيَا.

ويقال: قد نهج الثوب والجسم إذ بلى ، وأنهجه إذ أخلقه ويقول الأزهري : "نهج الإنسان ، والكلب إذا ربا وانبهر ، ينهج نهجا وقال نفسها وأنهجتها أنا فهي منهجة قال ابن شحيل : إن الكلب لينهج من الحر ، وقد نهج نهجه ، وقد غيره ، نهج الفرس حين أنهجته أي ربا" (3) .

أما اصطلاحاً: فهو بوجه عام : وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة ..المنهج العلمي خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها (4)

1 - ابن منظور: لسان العرب ، المجلد الثاني ، دار الفكر بيروت ، ط3 سنة 1994 م ، مادة (ن ، هـ ، ج).

2 - عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: " معجم العين "، دار الرشيد للنشر ، جمهورية بغداد للنشر ، جمهورية بغداد ، د/ط 1981 ص: 03 .

3 - الخليل الفراهيدي : معجم العين ، مادة (ن ، هـ ، ج) .

4 - ينظر: مجمع اللغة العربية : معجم الوسيط ، الجزء الثاني ، مكتبة الدولية ، مصر ، ط4 ، سنة 1974 ، مادة (ن ، هـ ، ج)

ويراد بمناهج البحث الطرق التي يعتمد عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون من أغراض "(1) .

التاريخ : التاريخ في اللغة عرفه ابن منظور في معجمه لسان العرب أنه من مادة أرخ ، والتاريخ أي تعريف الوقت ، والتواريخ مثله، وقيل التاريخ مأخوذ منه لأنه حديث، وقالوا من الأرخ ولد البقر ، أرخاً وأرخ إلى مكانه يَأْرُخُ أَرْوْحاً حَنَّ إِلَيْهِ وَقَدْ قِيلَ: " إِنْ الْأَرَّخَ مِنَ الْبَقْرِ مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ لِحَنِينِهِ إِلَى مَكَانِهِ وَمَأْوَاهُ "(2)

أما الاصطلاح : فقد عرفه ابن خلدون في كتابه " المقدمة" فقال : "اعلم أن فن التاريخ عزيز المذهب ، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرون في أحوال الدين والدنيا" (3) .فهو يفتح لنا صفحات الكشف عن أخبار من سبقنا من الأمم الغابرة وسبر كنه الأحداث وسردها.

أما عن الجمع بينهما فإن الدلالة المصطلحية تدل على أن المنهج التاريخي: منهج يقوم على استرداد وقائع وأحداث الماضي ووصفها وتسجيلها وتحليلها وتفسيرها على أسس منهجية علمية دقيقة ، والتنبؤ بالمستقبل ، وهذا هو المنهج التاريخي .

ويمكن باتباع المنهج التاريخي، دراسة أحداث تاريخية معينة وربطها ببعضها والتوصل إلى إدراك بعض العلاقات السببية بينهما كما فعل ابن خلدون ، ولكن لا يحصل عليها الباحث في مجال العلوم التطبيقية (4) .

ولذلك فهو يعتمد على اللغة المكتوبة من مخطوطات ونقوش محفوظة على الأحجار والأوراق وألواح الطين ، حيث ينتبع هذا المنهج دراسة حالات تطور البنية والتراكيب الدلالية مع الاهتمام بمدى تأثير الإقليم الجغرافي على الظاهرة اللغوية عبر التاريخ فيهتم بوصف وتسجيل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ويقوم بدراستها وتفسيرها وتحليلها على أسس علمية دقيقة يجعل الباحث يشعر بالمشكلة ويقوم بتحديدتها ، ويضع الفرضيات المناسبة ويدرسها ويحللها قصد الوصول إلى حقائق وتعميمات تساعد على فهم الحاضر على ضوء وتتمثل أهميته في أنه : " يسمح بحل المشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي ، ويسمح بإعادة النظر في البيانات وتقييمها بالنسبة لفروض معينة أو نظريات في الحاضر دون الماضي " (5) .

1 - علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، دار النهضة، مصر، ط7، سنة 1972، ص : 33 .

2 - ابن منظور: لسان العرب، ص: 4-5

3 - عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون: المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر التراث، ط1، سنة 2004 ص: 21.

4 - ينظر: عادل حسين غنيم، وجمال محمود: في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية، ط3، 2007 م، ص : 37 .

5 - عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء، الأردن ، ط1 ، 2004 م ص : 127 .

2- خصائص المنهج التاريخي

لاشك أن المناهج النقدية بما فيها المنهج التاريخي تكتسي أهمية بالغة في الدراسات الأدبية، باعتبارها طرقا وأساليب يتناول الناقد في ضوءها الأعمال الإبداعية ، ويتحكم بفضلها في الدراسة ويوجهها الوجهة التي تحقق غايتها ، ونفصي به إلى استخلاص النتائج بشكل جيد وكيفية مقنعة ، وهذا ما جعل بعض النقاد يلحون على حتمية اختيار المنهج المناسب قبل الشروع في العملية النقدية لأن ذلك يعصم الناقد من عشوائية مضرة ويجعل دراسته دراسة موضوعية، فالمنهج التاريخي كما نعرفه يعتمد على مبدأ الشرح والتفسير، وقد اتسم بخصائص عديدة مثله مثل بقية المناهج وهذه هي جملة الخصائص نذكرها كما يلي : (1) .

- الازدهار في أحضان البحوث الأكاديمية المتخصصة التي بالغت في ارتضائه منهاجا واحدا لا يرضى بدلا .
- الربط الآلي بين النص الأدبي ومحيطه السياقي واعتبار الأول وثيقة للثاني .
- الإهتمام بدراسة المدونات الأدبية العريضة الممتدة تاريخيا مع التركيز على أكثر النصوص تمثيلا للمرحلة التاريخية المدروسة (وإن كانت ثانوية وضعيفة فنيا لأن في استجابتها للمؤثرات التاريخية مندوحة عن أي شيء) مع إهمال التفاوت الكبير بين أدباء يتحدثون في الزمان والمكان ، كأن هذا المنهج عاجز -بطبعه - عن تفسير الفوارق العبقرية بين المبدعين المنتمين إلى فضاء زمني مكاني موحد .
- المبالغة في التعميم والاستقراء الناقص .
- الاهتمام بالمبدع والبيئة الإبداعية على حساب النص الإبداعي وتحويل كثير من النصوص إلى وثائق يستعان بها عند الحاجة إلى تأكيد بعض الأفكار ، والحقائق التاريخية .
- التركيز على المضمون وسياقاته الخارجية ، مع تغييب واضح للخصوصية الأدبية للنص.
- التعامل مع النصوص المدروسة على أنها بحاجة إلى توثيق أو تحف مجهولة في متحف أثري ، مع محاولة لم شتاتها وتأكيدا بالوثائق والصور والفهارس والملاحق .

هكذا تبدو الأهمية الأساسية لهذا المنهج في أنه يقدم جهودا مضيئة في سبيل تقديم المادة الأدبية الخام ، أما دراسة هذه المادة في ذاتها فإنها أوسع من أن يستوعبها مثل هذا القالب المنهجي الضيق (2) ، ولقد اختلف النقاد والدارسون في أهمية هذا المنهج في دراسة الأدب وتحليله وفهمه ما بين متحمس له ومتحفظ عليه ورافض له مثلما يحدث دوما مع بقية المناهج، حيث أن الفئة الأولى يرون فيه منهجا ينتقل بهم من ميادين الدراسة النقدية القائمة على التفوهات اللفظية والأحكام البيانية غير المعلنة إلى منهج محاكي لقوانين العلم وآليات ملاحظته وفحصه ودراسة أمانته ، " أما الرافضين فينطلقون من القول بأن الخطاب الأدبي في جوهره بنية لغوية

¹ -ينظر: يوسف و غليسي : مناهج النقد الأدبي ، مفاهيمها وأسسها ، تاريخها وروادها ، وتطبيقاتها العربية ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، ص : 20 .
² - ينظر: المرجع نفسه، ص : 21 .

وعلاقات تشكيلية ورؤية مجازية لا يصح مقاربتها مما هو خارج عن سياقها وتقويمها بعيدا عن وسيلتها الأساسية بل ينبغي البحث في واقع هذه لاكتشاف أسرارها وفهم علاقاتها واستجلاء قوانينها"⁽¹⁾.

أما نفر من النقاد فقد اعترفوا بما لهذا المنهج النقدي من وظيفة ودور مهم في فهم الظواهر الأدبية وتفسيرها لكنه يأخذ عليه مأخذ وتبقى دائما المقولة الشهيرة القديمة أن " الأدب تصوير للواقع إذا أريد بها المعنى العام أولا وقصد بها الحديث عن أنماط الأدب وأشكاله وتحولاته ثانيا ، أما طبيعة هذا الأدب المجازية وأسارته الفنية وانزياحاته اللغوية ومغامراته التشكيلية فإن من العبث البحث عن تجلياتها ودراستها بهذه الأساليب الخارجية التي لا تتصل بها اتصالا نوعيا وثيقا ، ولا تقوى على معالجتها معالجة إبداعية ناجعة " ⁽²⁾. فنقاد المنهج التاريخي هنا لا يهتمون الجانب الفني للنص الأدبي عكس ما يدعيه الرافضون لهذا المنهج.

المبحث الثاني : رواد النقد التاريخي عند الغرب

كان للنهضة العلمية التي شملت جميع الميادين المعرفية بما في ذلك الأدب ، أثر كبير في انتقال أسسه العلمية والنقدية ، مما أدى إلى ظهور نظريات علمية جديدة ، منها النقد التاريخي أو التاريخ الطبيعي للأدب، وجعلوا منه مجالا خصبا لمقاربة الظواهر الأدبية.

ويعد النقد العلمي أولى مظاهر تشكل المنهج التاريخي الذي مثله كل من "هبوليت تين"

" Hippolyte Taine " و"سانت بيف" "sainte –beuve" و بروننتير "Brunetiere" ، وذلك من خلال " وضع قوانين ثابتة للأدب ثبات قوانين العلوم الطبيعية، قوانين تطبق على كل الأدياء"⁽³⁾ متأثرين بالنزعة العلمية الثائرة في ذلك العصر.

ويرى هؤلاء النقاد أنه "من الخطأ أن يقال أن لكل أديب كيان مستقل بذاته، فضلا على أن يقال ذلك في أثر من آثاره قصيدة أو قصة أو مسرحية، إنما الأديب وكل آثاره وأعماله ثمرة قوانين حتمية عملت في القدم وتعمل في الحاضر وتعمل في المستقبل،"⁽⁴⁾ فالأدب نتاج تداخل ظروف وأحداث لتصنع منه نصا أدبيا يعبر عن بيئته ويتأثر بها.

كما كتب بروننتير "Brunetiere" عددا من المجلدات بعنوان تطور أنواع الأدب تناول في كل مجلد منها تطور فن من الفنون الأدبية، كتطور فن القصة فن الخطابة، الدراما، مستقصيا أصول كل فن منها ومراحل تطوره واستوائه حتى أصبح فنا ناضجا.

¹ - صالح هويدي : النقد الأدبي الحديث ، قضاياها مناهجه ، منشورات جامعة السابع من أبريل ، ليبيا الطبعة الأولى ، سنة 1426 هـ ، ص : 77

² -المرجع نفسه ، ص : 79 .

³ - شوقي ضيف :البحث الأدبي طبيعته مناهجه أصوله مصادره، دار المعارف، دب ، ط7 ، دب ، ص85.

⁴ - شوقي ضيف :المرجع نفسه ، ص86.

" ولعلّ من أبرز نظريات "برونتير" الذائعة في تطور خطب الوعظ الديني التي كانت سائدة في القرن 17 إلى الشّعر الغنائي المعروف بالشّعر الرومانتيكي في القرن 19" (1). فقد اختار الناقد والمفكر بروننتير "brunetiere" دراسة الأدب حيث اعتمد مناهج العلوم الجديدة في كتابة تاريخ طبيعي للأدب أو لفنونه من خلال تناسلها من بعضها ، فإنّ نقادا آخرين اختاروا نهجا ونقدا متخصصا ليقدموا لنا دراسات تطبيقية في نقد الأدب والأدباء، معتمدين في ذلك على نظريات علم الأحياء وتطورات الدرس العلمي فيه.

وأبرز هؤلاء النّقاد الناقدان الفرنسيان الكبيران سانت بيف وهبوليت تين اللذان أعطيا للمنهج التاريخي اسمه الجديد في مناهج النقد الأدبي أوّل مرة.

1-سانت بيف "sainte –beuve":

لقد كان سانت بيف النّاقّد الأوّل الذّي سعى إلى تأسيس تاريخ طبيعي من خلال تعرضه لعدد من أدباء عصره بالدراسة والتحليل، وتصنيفهم إلى طوائف وأنماط معتمدا في تصنيفه على ما عمد إليه العلماء في تصنيف النبات والحيوان وهم يحددون فصائله، وإذا نظرنا إلى منهج سانت بيف النّقدّي لدراسة أدب عصره، وجدناه مهتما اهتماما شديدا بدراسة شخصيات الكتّاب والأدباء أنفسهم، وصولا إلى فهم نتائجهم وتفسيره باعتقاده الجازم بالعلاقة التي تربط بين شخصية الأديب وأدبه، فالشّخصية عنده مفتاح لفهم نتائجها وتدوقه إذ بدونها يصعب إدراك الأدب وتدوقه، إذ يقول أيضا " ليس الأدب منفصلا في نظري عن الإنسان.. وذلك كما تكون الشجرة يكون ثمرها" (2) . فالنص الأدبي هو استمرار لشعور صاحبه ويعد بمثابة بطاقة هوية للأديب فيكفيك قراءة النص لتتعرف على الظروف التي يعيشها الأديب.

وقد أسّس سانت بيف منهجه على خطوات يتّبعها النّاقّد في دراسته للأدباء، فالخطوة الأولى كما يقول "يجب أن تبدأ...إذا أمكن الأمر بتمييز الكاتب الممتاز وسط وطنه وجنسه وإذا ما عرفنا الجنس من النّاحية العضوية...استطعنا أن نلقي ضوءا قويا على الصّفة الأساسية المميزة لهذه النفس البشرية" (3). فقد أطلق سانت بيف حكمه باعتبار جنس الأديب فانتماهه الجنسي يحدد الفئة التي ينتمي إليها.

أمّا الخطوة الثّانية التي يقوم عليها منهج بيف هي وكما يقول " فبعد أن تطمئن إلى معرفة أصول الكاتب وقرابته القريبة والبعيدة تأتي مسألة أساسية يجب أن ندرسها، وتلك المسألة هي الوسط ونعني به الأصدقاء والمواطنين الذين عاش بينهم عندما تفجرت عبقريته" (4). فقد كان "سانت بيف" "sainte –beuve" مهتما اهتماما بالغا بنقصي أخبار المؤلفين والكتّاب حتّى اتهم بالتّجسس وهو يشبهه في منهجه طريقة البوليس السّري في التحري والتّقصي للحقائق.

1-صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث قضاياها و مناهجها، ط1، منشورات السابع من أفريل بنغازي، 1426هـ، ص71.

2- محمد مندور: في النقد الأدبي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، دبت، ص63.

3- محمد مندور : المرجع نفسه، ص65.

4- محمد مندور : المرجع السابق ، ص66.

والملاحظ على منهج سانت بيف أنه يركز على حقيقة جوهرية مفادها أن الأدب ما هو إلا نتاج لعبقرية وشخصية الأديب أو الكاتب " فكان نقده في النهاية تشريحا للأدب باعتباره مرآة لنفس المؤلف "، (1) فالنص عند سانت بيف تعبير عن المؤلف، ولا سلطة تعلق فوق المؤلف، ولو على حساب النص في حد ذاته.

2- هيبوليت تين " hippolyte taine 1828 1893 :

يعد هيبوليت تين من أبرز من استخدم المنهج العلمي لدراسة الأدب، فقد تأثر في بداية مشواره النقدي بأستاذه سانت بيف وذلك من خلال دراسته لسير بعض المؤلفين ويرى تين أن الأديب الذي يعيش داخل منظومة من القوانين الطبيعية لابد أن يخضع لها وينتج ضمن سياقها المعرفي والتاريخي، فتطبعه بطابعها وتورث فيه خصائصها وسماتها اتجه هيبوليت تين إلى أن أي قصيدة أو أي أثر أدبي ما هو إلا وثيقة تاريخية عن إنسان يحكمه العرق والجنس والبيئة والعصر، وهذه ما هي إلا قوانين حتمية كقوانين الطبيعة، قوانين تتحكم في أديب كل أمة دون أي تفريق (2). فهنا يختلف تين عن أستاذه سانت بيف الذي يرى بالعبقرية الفردية ويقر بالخصائص الجماعية للأديب بأديب أمته.

فالمؤلف في نظر هيبوليت تين " hippolyte taine " ثمرة من ثمرات بيئته التي ولد فيها فلا يمكن معرفة الشخص إلا إذا وقفنا على العوامل الثلاثة اللازمة لمعرفته وهي:

2- أ -العرق أو الجنس: وهي بمفهوم " هيبوليت تين " " hippolyte taine " الفطرة الموروثة في الأمة إذ إن " لكل أمة منحدر من جنس معين خصائصها الفطرية التي يشترك فيها السلف والخلف" (3) وهذه الصفات الوراثية مقرونة بالمزاج والتركيب النفسي والعقلي وحتى الجسمي للفرد وهي التي تضع الفارق بين المجتمعات.

2-ب-البيئة أو الوسط:

وهي الرقعة الجغرافية وانعكاساتها على الأدب والأديب وهو " المنطلق الذي تنشأ فيه الأمة الواحدة نشوءا يُعدهم ليمارسوا حياة مشتركة في العادات والأخلاق والروح الاجتماعية" (4). فالإنسان هو جزء من عالمهم الخارجي ومرتببط به ارتباطا وثيقا فهو ابن بيئته يؤثر ويتأثر باوسط الذي يعيش فيه.

2-ج -العصر أو الزمان:

هو مجموع الأحداث التاريخية والسياسية والثقافية والدينية والتي من شأنها أن تؤثر على النص الأدبي وتحدد معالمه ووجهته.

1- ابراهيم السعافين، خليل الشيخ: النقد الأدبي الحديث، الشركة العربية، القاهرة، ط2005، ص1، ص118.

2- ينظر: شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 88.

3- شوقي ضيف: المرجع نفسه، ص 88.

4- شوقي ضيف: المرجع السابق، ص89.

وعلى ضوء هذه الثلاثية عمل "تين" "hippolyte taine" في دراسته الأدب ونظرا لتأثره الشديد بقوانين الطبيعة وحتميتها الصارمة التي طبّق مبادئها على الأدب، جعله محلا للنقد الشديد خاصة من طرف أستاذه سانت بيف الذي يقول إنّ ما فعله تين هو محاولته أن يدرس بطريقة منهجية الفوارق الدقيقة التي تنتج من الجنس والبيئة والزمان في تكوين العقول وتشكيل المواهب تركيزا منه على أهمية عناصر الثلاثية في كشف خبايا النص، ويضيف قائلاً :

"ولكنه من الممكن القول أنه لم ينجح في محاولته النجاح الكافي... إنه قد عجز عن أن يمسك بشرارة العبقرية في معدنها الأصيل، ولم يستطع لها تحليلاً"¹، فسانت بيف هنا يعيب على تين في تفسيره للأدب على ضوء الحتمية التاريخية أو البيئية واهماله لجوهر الفرد الذي تتميز به الشخصية من عبقرية.

3- فرديناند برونيتيار "Ferdinand brunetiere" 1849-1906:

ناقد فرنسي ولد في مدينة طولون وقد اشتهر برونيتيار بكونه ناقدا مختصا في كتابة الأدب وتاريخ النقد، آمن بنظرية داروين في التطور وحاول تطبيقها على الأعمال الأدبية أين لاحظ " أنّ التطور في حقل الأنواع الأدبية كثيرا ما يؤدي إلى بروز نوع جديد تتضح فيه بقايا نوع سابق وذلك على نحو تطور الكائنات الحيّة وذلك من البساطة إلى التركيب في أزمنة متعاقبة"⁽²⁾. فقد حول تطبيق التجريب على الأدب باعتباره علم قائما، واعتبر الأنواع الأدبية ظاهرة علمية تخضع للتطور.

وقد قال في محاضرة ألقاها في جامعة السوربون " إنّ نظرية التطور في الأدب لا ترمي إلى بعث الماضي وإنما ترمي إلى فهمه واستنباط قانونه ... إنّها لا تقص بل تفسر هدفها على وجه التحديد قصد توضيح التسلسل.... إنّها توضح كيف تولد الأنواع الأدبية وما هي عوامل الزمان والبيئة التي أشرفت على ميلادها، وكيف تتميز تلك الأنواع وتتباين ثم كيف تنمو وتتطور كما يتطور الكائن الحي.... ثم كيف تموت هي.... وكيف يؤدي هذا التطور إلى ميلاد نوع جديد يجمع عناصره من بقايا نوع سابق، هذا هو منهج الدراسة على أساس نظرية التطور وذلك هو هدفها"⁽³⁾.

جسد "فرديناند برونيتيار" Ferdinand brunetiere " هذه النظرية في مجموعة من المجلّدات تحت عنوان "تطور أنواع الأدب" إذ تناول في كل كتاب دراسة تطور فن من الفنون الأدبية مثل النّقد والشّعر الغنائي والمسرح، متتبعا أصول كل فن ومراحل تطوره حتى أصبح ناضجا بالكيفية التي عليها بين أيدينا.

¹ - محمد مندور: المرجع السابق، ص 60، 59.

² - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 94.

³ - محمد مندور: المرجع السابق، ص 82.

وقد تأثر برونتيير بنظرة تين في عنصر العصر الذي أصبح ذو قيمة عنده واستخدمه في " الكشف عن تأثير اللاحق بالسابق وتسلسل المؤلفات تسلسلا روحيا "(1)، حيث يرى في الأجناس الأدبية المختلفة ما يشبه الأنواع في الحيوان والنبات ورأى في تسلسلها ما يشبه التطور بالمعنى العلمي باعتبارها كائن حي.

وقد ساق برونتيير Ferdinand brunetière " أمثلة ليثبت نظريته في أنّ الأنواع الأدبية تتطابق تماما مع النوع الحيواني فهو يموت ليخلفه نوع آخر، وذلك من خلال " تطور الوعظ الديني في الغرب في القرن 17 وتحوله في القرن 19 إلى الشعر الغنائي المعروف بالشعر الرومانتيكي، وذلك على نحو ما يتطور الكائن العضوي إلى كائن آخر"(2). معتبرا هذا النوع الأدبي كائن حي تطور وتغيرت ملامحه تغيرا واضحا تولد من خلاله نوع أدبي آخر.

وما يمكن قوله عن منهج فيرديناند برونتيير "Ferdinand brunetière" أنّه كان أقرب إلى روح العلم أكثر منه إلى النقد. ومن الصّعب جدا أن نعتقد مثل ما ذهب إليه برونتيير إلى أنّ نوعا أدبيا قد يفنى في نوع آخر أو يتحول إليه بحيث يذوب فيه مع اختلافه معه، أمر نراه بعيدا عن الدقة فالنوع الأدبي قد يصاب بالضعف والفتور في عصر من العصور ثم ما يلبث أن يعود بقوة وحيوية في عصر آخر.

4- غوستاف لانسون "gustave lanson" 1857 1934 :

يقول صلاح فضل " في بداية القرن العشرين تبلور المنهج التاريخي في الأوساط العلمية والأكاديمية عند أستاذ عظيم هو لانسون.. وهو من أكبر الأساتذة الذين أثروا في الأدب العربي، ويكفي أن نذكر من تلاميذه على الأقل طه حسين من الجيل الأوّل ومحمد مندور من الجيل الثاني"(3)، فقد ذاع سيّطه حينما صدع عن منهجه سنة 1909م في محاضرة ألقاها بجامعة بروكسل وكانت حول الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب، ثم بمقالته الشهيرة سنة 1910 "منهج تاريخ الأدب" والتي حدّد فيها خطوات المنهج التاريخي حتى "عدت تلك المقالة قانون اللانسونية ودستورها المتّبع"(4).

حيث تتلخص مقالة لانسون في مجموعة محاور أساسية متمثلة في ما تضمنته من الأسس النظرية للمنهج، ثم الصعوبات التي تعترض تطبيقه، وأخيرا علاقة تاريخ الأدب بالتاريخ العام، وأهمية تاريخ الأدب، معرّفا الأدب، وارتباط المنهج بالوظيفة الحقة(5).

1- محمد مندور: المرجع السابق، ص80.

2- محمد مندور: المرجع نفسه، ص82.

3- صلاح فضل: مناهج النقد الأدبي، دار ميريث للنشر و المعلومات، القاهرة، ط1، 2002م، ص36.

4- يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي مفاهيمها و أسسها تاريخها و روادها و تطبيقاتها العربي، جسر للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2007، ص1، ص18.

5- ينظر: عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2010م، ص108.

فلانسون لم يؤسس نظريته من فراغ بل استفاد بشكل واضح من الأبحاث التي قدّمها كل من بيف وتين وبرونتير حيث يقول " ليس المنهج الذي أحاول أن أعطي فكرة عنه من ابتكاري، وما هو إلا نتيجة لتفكير في الخطة التي جرى عليها عدد من سابقي ومعاصري والملاحقين من الناشئين"⁽¹⁾، فبرونتير يقر بأقدمية المنهج التاريخي وأسبقيه غيره من الدارسين قبله لهذا المنهج.

وعلى ضوء من سبقه أو من عاصره من النقاد، صاغ لانسون منهجه القائم على الروح العلمية وهي كما يفسرها لانسون " مجموع الصفات على الباحث أن يتحلّى بها في التعامل مع مادة بحثه ومن ثمّ على دارسي الأدب ومؤرخيه أن يتحلوا بها، أهمّها الموضوعية في التعامل مع مادة البحث من خلال طرح كل الأفكار المسبقة والأهواء والنزاعات الشخصية والصدّوع بالحقيقة مهما كانت حقيقتها"⁽²⁾. معتبرا أن الدارس للأدب بمثابة محقق علمي يحقق في تجربة بيولوجية.

وفي الأخير وعلى الرّغم من النّجاح الذي تفرّد به لانسون في تفسيره للظواهر الأدبية بكل منهجية وموضوعيّة إلا أنّه لم يسلم هو أيضا من انتقادات عديدة ، من أبرزها الانزلاق في سراديب الخلفيات التّاريخية ، وإهماله لتحليل البنية الدّاخلية للنّص الأدبي ومقاربة هذا النّص مقارنة نصيّة لتحليل و تفسير الشّبكات العلائقية التي تحكم النّص الأدبي من الداخل.

المبحث الثالث: رواد النقد التاريخي عند العرب

أولا: عند القدماء:

لا شكّ أنّ معرفة العرب بالمنهج التاريخي قديمة، فقد ارتبط تفسير الظواهر بالعوامل التّاريخية، ففي العصر الجاهلي و صدر الإسلام كان النقد فيه يقوم على الدّوق والفترة، ولم تكن هذه الملامح منهجية وإنّما محاولات نقدية مبنوثة في كتب النّقد القديمة ومن بين هذه المحاولات :

1- ابن سلام الجمحي:

حيث اتخذ في كتابه "طبقات فحول الشعراء" من الزّمان والبيئة منهجا له في تقسيم الشعراء إلى طبقات وذلك وفق مقدرتهم الفنية، والمدينة التي ينتمون إليها ثم حسب الديانة، فضلا عن الموضوع الشعري الذي نظموا فيه ، فقسّم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين وفي هذا يقول " ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فأنزلناهم منازلهم واحتجنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة"⁽³⁾. فقد قسمهم باعتبار انتمائهم العرقي والديني.

كما قسّم الشعراء حسب عامل المكان حيث وضع شعراء القرى وهم ما يمكن أن نسميهم بالشّعراء الاقليميين، في باب شعراء القرى مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين ،

¹ - لانسون : منهج البحث في تاريخ الآداب، نقلا عن محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، د.ط، د.ت، ص395.

² - ينظر عبد المجيد حنون: المرجع السابق، ص109.

³ - محمد بن سلام الجمحي : طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص33.

كما فاضل بين شعراء كل قرية فجعل من حسان أشعر المدنيين و من عبد الله بن الزعبري أبرع المكيين.

2- ابن قتيبة:

في مؤلفه "الشعر والشعراء"، حيث يقول في مقدمة كتابه ، " وهذا كتاب ألفتَه في الشعراء وأخبرت فيه عن الشعراء وأزمنتهم وأقدارهم وأحوالهم ، في شعرهم وقبائلهم ، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم... وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن"¹. فابن قتيبة في كتابه هذا يؤرخ للشعراء ويبين ما يستحسن من شعرهم على الرغم من أن آراءه التي تحتكم إلى الذوقية إلا أنه يبين محاولاتهم في التأريخ للأدب

3- الأصفهاني :

في كتابه "الأغاني" حيث اعتنى فيه بأخبار الشعراء ودراسة الظروف المحيطة بالشعراء وأثرها في شعرهم، وهي نقلة نوعية ليدخل في صميم المنهج التاريخي لتكون معالمه أوضح مقارنة بمن سبقوه " فيثبت فيه أبو الفرج الأصفهاني النصوص ويرويها متسلسلة عن الرواة ويصحح بعض الروايات ويضعف البعض ويذكر مناسبات النصوص وما دار حولها من حوادث وروايات، ويعرف بالشاعر وطبقاته ومزاجه"⁽²⁾. يحقق في النصوص ويدقق فيها بأمانة.

ومن خلال ما سبق نستطيع القول أن الحسّ التاريخي في الرؤية النقدية للعرب القدامى كان حاضرا من خلال اعتمادهم على جملة معطيات التاريخ في معالجة القضايا الأدبية ونقدها، مثل الزمان والمكان وعلاقة الأدب بالأديب ونفسيته وبيئته وجنسه، لكن هذا الحسّ ظلّ انطباعيا، تلقائيا ولم يرق إلى رؤية منهجية واضحة المعالم تركز على خلفيات فلسفية ، وقد ظلت هاته المعطيات عبارة عن ملاحظات متفرقة تمثلت في الشرح والتفسير، إلا أنّ نقادنا العرب القدامى تنبهوا لأهمية عاملي الزمن والبيئة ، ومثال ذلك ما وجدناه في كتاب الأصمعي "فحولة الشعراء" وابن سلام في كتابه "طبقات فحول الشعراء".

ثانيا: عند المحدثين:

لم يتبلور الوعي المنهجي بفعاليات ومعطيات التاريخ في دراسة الأدب في العالم العربي إلا مطلع القرن 20، فكان بوابة الدراسات العربية التاريخية، وذلك إثر احتكاك العرب بالعالم الغربي واطلاعهم على النتائج التي حققها على مستوى التنظير النقدي. فقد بدأت بوادر المنهج التاريخي تتجلى مع حسين توفيق العدل في كتابه "تاريخ الأدب" حيث اعتمد فيه على التقسيم

¹ ابن قتيبة، الشعر والشعراء : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 33

² -عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1972 ، ص 293 ، 294.

التاريخي، وهاته القراءة لم تتعود عليها الدراسات النقدية العربية السابقة، وبذلك أسس لقراءة نقدية جديدة فتحت الباب أمام الدراسات الأدبية⁽¹⁾.

وممن ساروا على هذا المنهج في كتاباتهم نجد جورجى زيدان في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" وأحمد حسن الزيات في كتابه "تاريخ الأدب العربي"، وتعد هذه الدراسات بداية طيبة وتمهيد لإرساء أسس المنهج التاريخي، " فقد أخذت هذه الدراسات تدرس عصور الأدب، والظروف السياسية والاجتماعية، وتتحدث عن آثارها في الأدب العربي في موضوعاته وأسلوبه وتعبيره، وتدرس شيئاً عن الشخصيات الأدبية في كل عصر"⁽²⁾.

1- طه حسين:

يعد طه حسين عميد الأدب العربي وموسوعة للأفكار المتميزة وقد دعا إلى وجوب النهضة الفكرية والأدبية، وضرورة التجديد والتحرر والاطلاع على ثقافة الآخر، متأثراً بما حققه العالم الغربي من تقدم وتطور، وهو أول من اعتمد المنهج التاريخي في صورته الغربية متأثراً كغيره من النقاد بالنهضة العلمية التي شملت بقاع العالم وبالخصوص المنهج التاريخي، حيث يقول "إنّ الصدق في التاريخ ممكن ولكنه مشروط بقيد هو قيد المنهج، فبقدر ما يكون المنهج سليماً يكون حظ التاريخ من الصدق أوفر"⁽³⁾. متأثراً بالنزعة العلمية في معالجة الظواهر التاريخية والنقدية.

تأثر طه حسين بأعلامه في الغرب أمثال سانت بيف وجوستاف لانسون وهبوليت تين، وبذلك عرف المنهج التاريخي نظرية وتطبيقاً أين وجد هذا " الشاب الطموح والتأثر العنيد في السوربون مناخاً ملائماً لميوله النفسية والعقلية الثائرة، فراح يتشبع بالأسس التي يقوم عليها التفكير العلمي والمنطقي"⁽⁴⁾.

فكانت أعماله امتداداً لهذا المنهج الذي دعا إلى تطبيقه في دراسة الأدب العربي ما يمكن من فهم الأعمال الأدبية حقّ الفهم، من أجل الوصول إلى نتائج لا تقل أهمية عما وصل إليه الغرب، فطه حسين يريد أن " يأخذ نفسه و الدارسين بمنهج قويم، يعتمد على الجانب العلمي ممثلاً فيما نجم من الدراسات والمناهج المستحدثة لدى الغربيين معتمداً على العلم كما في مناهج بيف، وتين وبرونتيير"⁽⁵⁾، لذلك فإنّ المتفحص لأعمال طه يجدها حبلية بالدعوة المنهجية التاريخية، ومثال ذلك رسالة الدكتوراه التي نالها في جامعة مصر سنة 1914 م حول تجديد

¹- ينظر: ابراهيم عبد العزيز السمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الافاق العربية، القاهرة، ط 1، 2001، ص 30

²- المرجع نفسه، ص 31.

³- محمد شنوفي: تطور النقد المنهجي عند طه حسين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة في الأدب العربي، تخصص نقد أدبي معاصر، جامعة الجزائر، 2006، 2005، ص 137.

⁴- عبد المجيد حنون: المرجع السابق، ص 240.

⁵- فاضل محمد عبد الله الزبيدي، المنهج النقدي عند طه حسين، مجلة اللغة و الأدب العربي، جامعة الكوفة، العدد 5، 2008، ص 129.

ذكرى أبي العلاء " أين تسربت عناصر المنهج التاريخي وبعض مقوماته إلى طه حسين" (1)، بالإضافة إلى كتابه "حديث الأربعاء" و"الأدب الجاهلي" وغيرها.

تطبيقات المنهج التاريخي عند طه حسين :

ثار طه حسين على القدامى والمحدثين في مناهجهم ملحا على ضرورة الاقتداء بالغرب ومناهجها العلمية.

ومن هذا المنطلق جسّد عمله النقدي في كتابه "ذكرى أبي العلاء" متأثرا في ذلك بالمنهج التاريخي " فهي دراسة تدل على أنّ وراءها فكرا نشطا دؤوبا يحاول أن يحلّ ويبحث، ويعتبر طه حسين أنّ دراسته هذه هي أول دراسة باللّغة العربية تستفيد من مناهج الغربيين إنّه يستعين بمبادئ سانت بيف وتين وجول لمتز (2) ففي هذه الدراسة دلالة واضحة على إصرار الشديد على المنهج التاريخي ومدى تأثيره بالغرب.

تبني طه حسين في دراسته لأبي العلاء المعري الحتمية التاريخية التي كان ينادي بها تين منتهجا بذلك المنهج التاريخي الذي اعتمده كمنهجية في دراسته لأبي العلاء والحكم عليه حيث يقول " وضعت له خطة مرسومة وتشددت في اتباعها حتى كاد الكتاب يكون نوعا من المنطق، أو هو بالفعل منطق تاريخي أدبي ليس فيه حكم إلا واستند إلى مصدر ولا نتيجة إلا وتعتمد على مقدمة" (3).

عمد طه حسين إلى التعريف بحكيم المعري وفهمه حق الفهم من خلال البحث عن كل ما يحيط به من سياقات خارجية ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، محاولا الربط بينه وبين العصر الذي عاش فيه والبيئة التي نشأ فيها ، والكشف عن مدى تأثيرها عليه وعلى نتاجه الأدبي حيث يقول " جعلت درس أبي العلاء درسا لعصره واستتبقت حياته ممّا أحاط به من المؤثرات الخارجية ولم أعتمد على هذه المؤثرات وحدها بل استخدمت شخصية أبي العلاء بعد أن وصلت إلى تعيينها وتحقيقتها مصدرا من مصادر البحث" (4) ، فطه حسين ينظر لأبي العلاء على أنّه جزء لا يتجزأ من عصره وثمره من ثمرته إذ ولا بدّ من دراسة عصره بأكمله، " ليس الغرض من هذا الكتاب أنّ نصف حياة أبي العلاء وحده وإنما نريد أن ندرس حياة النفس الإسلامية في عصره" (5)، فقد أولى اهتماما كبيرا لمبدأ العرق و الديانة في دراسة الأديب مثله مثل "سانت بيف" وغيره.

انطلق طه حسين من فكرة الحتمية التي آمن بها وعمل على تبيانها حيث يقول " يدل ما قدمناه على أن نرى الجبر في التاريخ أي أنّ الحياة الاجتماعية إنّما تأخذ أشكالها المختلفة وتنزل منازلها

1- طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء ، الجزء 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 6 ، 1963 ، ص 9.

2- محمود السمرة : سارق النار طه حسين ، المؤسسة الوطنية للدراسات و النشر ، دط ، 2004 ، ص

3- طه حسين : المرجع السابق ، ص 12.

4- طه حسين : المرجع السابق ، ص 12.

5 - طه حسين : المرجع نفسه ، ص 15.

متباينة بتأثير العلل والأسباب التي لا يملكها الإنسان ولا يستطيع لها دفعا ولا اكتسابا، ذلك موضع نراه وسنثبته في موضع الكتاب⁽¹⁾. يؤكد طه حسين على حتمية الأسباب والعلل . ويقصد بها الظروف المحيطة والمتحكمة في المبدع وإنتاجه الأدبي.

و قد اعتمد طه حسين خمس مقالات في دراسته لأبي العلاء حيث" تناول في المقالة الأولى زمان أبي العلاء ومكانه"⁽²⁾ . تعزيزا لثلاثية "العرق والزمن والبيئة"، وفي المقالة الثانية درس حياة أبي العلاء وأسرته " ولما كانت الأسرة أشد ما يحيط بالرجل فيه خصصنا فصلا آخر لأسرة أبي العلاء"⁽³⁾ ، أما المقالة الثالثة فتحدّث فيها عن أدب أبي العلاء " ثم انتقلنا إلى منزلته الأدبية فبيّنا قسمته من الشعر والنثر، وخصائصه فيهما "⁽⁴⁾ ، مقسما شعره حسب أطوار حياته أولا ثم حسب الأغراض ثانيا.

أما في المقالة الرابعة فتحدث فيها عن منزلته العلمية، ثم المقالة الخامسة التي تناول فيها فلسفته منقبا عنها مع تركيزه على فلسفته الإلاهية والخلقية⁽⁵⁾.

وعموما يمكن القول أنّ طه حسين بلور العلاقة الحتمية بين كل من أبي العلاء المعري ومحيطه السياقي، متبنيا منهج "تين" فكان له الفضل الأول في ريادة المنهج التاريخي مكسرا بذلك ما تعارف عليه البحث والتأليف.

2- العقاد:

تأثر العقاد في مسيرته النقدية كغيره من النقاد بالمناهج الغربية وأعلامها من أمثال سانت بيّف الذي يعتبر من النقاد الذين تأثر بهم العقاد " وصرّح باستفادته منه استفادة بالغة ، فقد ذكر أنّه قرأ موسوعته في النقد وأعجب بها أشدّ الإعجاب "⁽⁶⁾.

واهتمام العقاد بالشخصية لا يكاد ينفك عن اهتمامه بالبيئة التي أحاطت بها والعصر الذي عايشته الشخصية فهو " الذي آمن بأن ديوان الشاعر يُعد خير ترجمان له ، و يرى كذلك أنّ معرفة البيئة ضرورية في نقد كلّ شخصية وفي كل أمة وفي كلّ جيل "⁽⁷⁾ ، فلم يحد هو أيضا على ثلاثية ت"تين" في دراسة الأدب العرق والبيئة والزمن.

¹- طه حسين : المرجع نفسه ، ص 18.

²- طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء ضمن سلسلة من تاريخ الأدب العربي لطله حسين ، المجلد الثالث ، دار العلم للملايين ، ط 1 ، بيروت ، 1974م ، ص 457.

³- طه حسين : المرجع السابق ، ص 21.

⁴- طه حسين : المرجع نفسه ، ص 21 .

⁵- ينظر: طه حسين : المرجع نفسه ، ص 21 .

⁶- نبيل مزار : الحدائث النقدي في دراسة العقاد الشخصية ، الشعراء أنموذجا أطروحة مقدمة انيل شهادة الدكتوراه ، العلوم في الأدب العربي ، سطيف ، 2010،2011 ، ص 37 .

⁷- جابر قميحة : منهج العقاد في التراجم الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1980 ، ص 225.

فكما كان للبيئة من أثر قوي وحضور فعّال في تكوين شخصية الأدباء وآثارهم عند كل من طه حسين خاصة في مؤلفه "تجديد ذكرى أبي العلاء" نراها حاضرة عند العقاد الذي يرى " البيئة الخاصة لها أثرها العميق في تشكيل شخصية الفنان وتوجيهها فقد يكون لهذه البيئة دورها الرئيسي الفعّال في خلق المزاج النفسي للفنان كما اكتشف العقاد في شخصية شكسبير الذي كان في أخلاقه وريث أسرته على سنة أهل الزيف في عصره"⁽¹⁾ . فقد تجلت اهتمامات العقاد بالبيئة في ثلاث دراسات وهي شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي " أين تناول إحدى عشر شاعراً وشاعرة من خلال البيئة المصرية ، وفي هذه الدراسة يقترب من المنهج التاريخي ... من تقسيم للبيئات وآثارها في مذاهب الشعراء"⁽²⁾ ، وكذلك في مؤلفه " شاعر الغزل وجميل بثينة" مقتفياً أثر تين الذي اعتمده طه حسين وأمن به في ذكرى أبي العلاء⁽³⁾ ، فهذه الدراسة تثبت إيمانه الكبير بالأثر الفاعل للبيئة والعصر .

و من المؤلفات التي تتجلى فيها ملامح المنهج التاريخي عند محمود العقاد أيضاً كتاب "سيرة ابن الرومي" الذي أقام منهجه فيه على ركيزتين الأولى من آراء سانت بيف وهي فكرته القائمة على أنّ العمل الأدبي إنّما هو الإنسان نفسه ، حياته وفكره وروحه⁽⁴⁾ ، أما الركيزة الثانية التي أقام العقاد عليها دراسته لابن الرومي هي من آراء تين وقوانينه " القائلة بأنّ الفنان نتاج البيئة والعصر والجنس ... وبلغة العلم تلك القوانين المعتمدة بحتمية الظروف والملابسات"⁽⁵⁾ .

فكانت دراسة العقاد لابن الرومي قائمة على خمس نواحي أساسية وهي " العصر الذي نشأ فيه..... و حياة ابن الرومي وثقافته المنوعة كما تصور أشعاره وأصله اليوناني وما تركه من أثر على سلوكه وتفكيره وبيئته العامة والخاصة"⁽⁶⁾ متخذاً من هذا كلّ وسيلة إلى دراسة صناعته الفنية التي يراها العقاد ثمرة لهذه المؤثرات التي صنعت ابن الرومي وجعلت منه رجلاً عبقرياً .

3- أحمد ضيف:

يُعد أحمد ضيف أول متخرج من مدرسة لانسون الفرنسية أين تتلمذ على كبار النقاد التاريخيين أمثال لانسون والأخوين كروازيه ولا سيروود وغيرهم ، وبالتالي فقد عايش أحمد ضيف فترة عنفوان المنهج التاريخي .

تحصل أحمد ضيف على دبلوم فرنسي وتطبيقه من خلال إعداده لرسالة الدكتوراه في جامعة باريس حول بلاغة العرب في الأندلس .

¹ - جابر قميحة : المرجع نفسه ، ص 225 .

² - جابر قميحة : المرجع نفسه ، ص 228 .

³ - ينظر: جابر قميحة : المرجع السابق ، ص 228 .

⁴ - ينظر: ابراهيم عبد العزيز السمري : المرجع السابق ، ص 36 .

⁵ - ابراهيم عبد العزيز السمري : المرجع نفسه ، ص 36 .

⁶ - ابراهيم عبد الرحمان : تراث جماعة الديوان النقدي ، أصوله و مصادره وقراءة مقارنة ، مجلة فصول ، المجلد 3 ، العدد 4 ، 1983 ، ص 157 .

في هذه الرسالة طَبَّقَ أحمد ضيف المنهج التاريخي في دراسة الأدب الأندلسي انطلاقاً من البيئة الأندلسية بعواملها الطبيعية والبشرية والحضارية وأثرها على الأديب والأدب، فربط الأدب بالمجتمع وتحدّث عن العصور السياسية والأدبية التي مرت بها أهل الأندلس ، كما تناول البيئة الجغرافية ومظاهرها وتفاعل هذه العناصر فيما بينها وأثر ذلك على الأدب الأندلسي شعراً ونثراً.

كما درس الشعراء دراسة تاريخية " كل واحد منهم ضمن إطاره الزماني والجغرافي والثقافي منقبا عن مصادره وأصوله أولاً ، ثم تصوّره لبيئته ثانياً "(1) ، مرتّب الأديباء ترتيباً زمنياً بعد دراسة كل واحد منهم دراسة تاريخية

إلى جانب تطبيق أحمد ضيف للمنهج التاريخي في كتابه "بلاغة العرب في الأندلس" ، فقد طبّقه في مؤلفه "بحث في الغنائية والنقد الأدبي عند العرب" وقد كان محور بحثه " السعي إلى استجلاء أصول ذلك الثبات وأسس ونتائجه في الشعر والنقد العربيين ، لانطلاقه في كل ذلك من موقف نقدي هو أساس المنهج التاريخي، ويتمثل في ارتباط الأدب بالمجتمع يصدر عنه ثم يصوره ، فجعل الشعر العربي يصدر عن البيئة العربية الصحراوية الثانية فيصورها، ويكون النقد العربي قد فعل الشيء نفسه "(2)، وهكذا يمكن القول أن تشبّع أحمد ضيف بالمنهج التاريخي كان السبب الأساسي في توجيه بحثه هذه الوجهة.

إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ الدّراسات الأدبية والنقدية الحديثة بلغت العمق والاستقصاء، ومن منهجية وضبط لا يكاد يقارن بما تركه الأقدمون ، ولا يمكن تجاوز ذلك كلّه وإلا كنا نعيش خارج العصر ، وأنّ أيّ نظرية أو منهج هو حصيلة تراكم معرفي غزير ساهمت في صنعه أجيال من الأمم والحضارات والشعوب في القديم والحديث.

ولكن ما ينبغي أن نتفطن إليه وألا يغيب عن تفكيرنا لحظة واحدة، أنّ أيّ منهج عربي نتبناه في دراستنا الحديثة يجب أن يكون أساسه الأكبر المكين قائماً على تراثنا وثقافتنا وقيمتنا العربية والإسلامية الأصيلة، وأن تكون الأسس الأخرى الجديدة أو المقتبسة أو المأخوذة من شرق أو غرب ، متناغمة مع هذا الأساس الأكبر داعمة له بل قائمة عليه.

4- محمد مندور:

يمكن القول أنّ محمد مندور كان الجسر الرابط بين نقدنا العربي والفرنسي، فهو من أرسى معالم " اللانسونية" في نقدنا العربي، حيث أصدر النقد المنهجي عند العرب مذيلاً بترجمته لمقالات لانسون الشهيرة ومنهج البحث في الأدب في حدود سنة 1946 م ثم أعاد طبعة هذه الترجمة مرفقة بترجمة ماييه منهج البحث في اللغة سنة 1964. (3).

1- ينظر عبد المجيد حنون: المرجع نفسه ، ص 217 ، 218.

2- عبد المجيد حنون: المرجع السابق، ص 201.

3- ينظر: يوسف وجليسي : المرجع السابق ، ص 19

تتلذ محمد مندور على رموز المدرسة التاريخية الفرنسية لمدة زمنية لا تقل عن تسع سنوات ما جعله متشبعاً بالمنهج التاريخي الذي اعتمده في دراسته لاقتناعه بفعاليتها ونتائجها فيقول:

" ومعنى هذا هو أننا نفضل الأخذ بالمنهج التاريخي حتى عندما نحاول أن نضع للنقد حدّه، وهذا هو المنهج الذي استقرّ الباحثون على جدواه، منذ أوائل القرن 19 إلى يومنا هذا وبفضله جددت الإنسانية مع معرفتها بترائنا الروحي وزادته خصبا"⁽¹⁾.

وعلى ضوء هذا المنهج درس محمد مندور عدد النصوص النقدية العربية قصد التمييز بين أساليبها وإبراز خصائصها المنهجية، وتسلسل أفكارها، متتبعا للتيارات النقدية التي عرفها النقد العربي القديم ، فيقول " ولكننا مع ذلك نتبعنا موضوع بحثنا منذ أول كتاب وصل إلينا في النقد وتاريخ الأدب وهو كتاب "طبقات الشعراء" الذي كتبه ابن سلام الجمحي في القرن الثالث هجري كما نتبعناه إلى أن تحوّل النقد إلى بلاغة على يد أبي هلال العسكري مؤلف كتاب "الصناعتين" في القرن الخامس، بل وانحدرنا به قرنين آخرين حتى لاقينا ابن الأثير في "المثل السائر"⁽²⁾.

تتبع محمد مندور النقد المنهجي عند العرب تتبعاً تاريخياً فوصل إلى أنّ النقد تمثّل في أرقى درجاته عند الأمدي في "الموازنة" ثمّ الجرجاني في "الوساطة" >> وذلك لصدورهما عن منهج دقيق ذي أسس وخطوات علمية، ووضوح يتميّز بالروح العلمية أولاً والدّوق الأدبي ثانياً ، ثمّ دراستهما "شعر الشعراء" دراسة تحليلية تطبيقية على أسس منهجية وخطوات علمية مع التّحقيق والتّدقيق للنصوص ومراجعة آراء السابقين وترك الحكم النهائي للقارئ فقدّمنا بذلك دراستين تطبيقيتين قابلتين للتطبيق على شعراء آخرين"⁽³⁾.

وقد أخرج مندور كلّ من قدامى ابن جعفر وابن المعتز من دائرة النقد المنهجي لأنّ أعمالهما لم تكن تصدر على أسس منهجية ولم يلتزما بخطوات علمية واضحة في دراسة الشعر وأنّ أعمالهما هي " قواعد وقوانين فلسفية عقلية منطقية أو بلاغية بديعية، وضعها أصحابها اعتماداً على تفكير نظري مجرد لم يسمح لهم بتطبيقها على النصوص الأدبية ولم يسمح لغيرهم بتطبيقها فبقيت مجرد نقد نظري لا علاقة له بالأدب"⁽⁴⁾ يمكننا القول أنّ محمد مندور مثّل قمة النّضج التاريخي لجمعه بين النظرية والتّطبيق.

1- محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، د ط ، د ت ، ص 11

2- محمد مندور : المرجع نفسه ، ص 5 ، 6.

3- عبد المجيد حنون : المرجع السابق ، ص 361 .

4- عبد المجيد حنون : المرجع السابق ، 379 .

المبحث الرابع : رواد النقد التاريخي في الجزائر

1- الدكتور أبو القاسم سعد الله :

إذا كان التأريخ السالف للمنهج التاريخي في النقد الجزائري سنة 1961 تاريخيا رسميا صارما ، فإن ذلك لا يلغي أبدا ما نشره أبو القاسم سعد الله قبل هذه السنة من دراسات متفرقة في أشهر الدوريات العربية جمعها لاحقا في كتابه "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" ولكن كتابه عن محمد العيد آل خليفة بكل تأكيد باكورة حسنه المنهجي التاريخي الذي قاده بعد ذلك إلى الجمع بين الأدب والتاريخ ثم تخصصه باحثا ألمعيا في تاريخ الجزائر .

قسم أبو القاسم كتابه "شاعر الجزائر: محمد العيد آل خليفة" إلى ثلاثة أقسام :

- القسم الأول: تحدث فيه عن حياته عبر ثلاثة فصول (البيئة ، النشأة ، الثقافة ، آرائه وتجاربه).

- القسم الثاني : تحدث فيه عن شعره في تسعة فصول ،(بين عهدين ،الشعر الاجتماعي ،الشعر السياسي ، الشعر الذاتي ، شعر المجاملات ،الحياة العربية في شعره ،آسيا و إفريقيا في شعره ، خصائص شعره ، منزلته) .

- القسم الثالث : تناول فيه نماذج شعرية كثيرة من قصائد محمد العيد آل خليفة .على اختلاف المواضيع التي تناولها القصائد بغية إثبات نسبة هذه القصائد للشاعر.

وإذا كان حسن الناقد بماهية المنهج التاريخي محدودا إذ يقول "أما المنهج الذي صرت عليه فقد قسمت البحث إلى ثلاثة أقسام..."⁽¹⁾ غير أن انطباعه للنقد التاريخي كان واضحا جدا إذ يقول "عكفت مدة على دراستها وربطها بالأحداث والمناسبات التي قيلت فيها وتتبع تطور الشاعر خلال تجربته الشعرية الطويلة و وضعته في الميزان مع رفاقه من الشعراء وفي الإصلاح وفي السياسة وخرجت بعد كل ذلك بهذه الدراسة التي لا تعدو أن تكون جولة في ديوان وانفعالا بأحداث ورأيا في تجربة إنسان شاعر"⁽²⁾ فإذا تتبعنا الكتاب وجدنا أن جلّ أقسامه تركز على التفاصيل التاريخية لحياة الشاعر وعصره وموضوعات شعره وارتباطها بالمناسبات التاريخية التي قيلت فيها .

أما في كتاب " تجارب في الأدب والرحلة " الذي عرض لنصوص ابداعية لأبي العيد دودو ، ومحمد العيد ، وعبد الله ركيبي ، وزهور ونيسي ، ومصطفى الغماري ... ، فقد ظل سعد الله فيه أمينا للرؤية المنهجية التاريخية³ .

¹ يوسف و غليسي ، المرجع السابق ص 23

² المرجع نفسه ، ص 23

³ - ينظر: المرجع نفسه ، ص 24

أما كتاب دراسات في الأدب الجزائري الحديث والذي هو عبارة عن مجموعة من مقالات تم نشرها قبل سنة 1961 فقد كان مدينا فيه للروح التاريخية والثورية التي تمخض عنها وهذا ما سنعرضه في الفصل التطبيقي للبحث.

2- عبد الله ركيبي

لقد اعتمد " عبد الله ركيبي " على المنهج التاريخي في دراساته النقدية ولكن خلاف زميله " أبو القاسم سعد الله " ، فإذا كان هذا الأخير يمارس النقد التاريخي وكأنه فريضة منهجية لا ترتضي بديلا عنها ، فإن عبد الله ركيبي يشاطره الممارسة التاريخية ولكن عن وعي تام بحدود هذا المنهج وآليات اشتغاله ، اختيار منهجيا يقبل التغيير (1) .

وليس أدل على ذلك من دراسته الأكاديمية المقدمة لنيل شهادة الماجستير بالقاهرة والموسوعة بالقصة الجزائرية القصيرة سنة 1967 ، فكانت أول دراسة تتناول هذا الفن الأدبي في الجزائر وعلى هذا الامتداد الزمني (1928-1962) .

تتبع " عبد الله ركيبي " القصة في سياق تاريخي ، منذ نشأتها ومراحل تطورها ، مشيرا إلى الظروف والمؤثرات والعوائق التي مرت بها ، راصدا لأشكالها وأنواعها ، وذلك من منطلق تاريخي فيقول عن المنهج المنتبج في الدراسة :

" فاخترت المنهج الذي يجمع بين النقد والتاريخ فالتاريخ هنا ليس مقصودا لذاته وإنما هو لبيان خط تطور القصة ومسارها العام ، وكيف تطورت وما هي الأشكال التي ظهرت فيها ؟ لأن الأدب يتطور بتطور حياة الإنسان والتاريخ يساعد على تحديد مراحل التطور ، أما المنهج النقدي فهو الاعتماد على النص وما يصوره من تجربة إنسانية ويعبر عن مضمون وواقع معاش " (2) ، وهذا يؤكد أن استقصاءه لأبعاد القصة القصيرة ، يجعل من التاريخ وسيلة له على رصد حركة تطورها وعلى ضبط العملية الإبداعية ، معتمدا على الصيرورة التاريخية التي تفيد بمبدأ التطور وتحديد المراحل .

وقد ركز " عبد الله ركيبي " في هذه الدراسة على الجانب الشكل والمضمون هو بهذا ينطلق من نظرية " بروننير " في التطور التي يرى فيها أن لكل جنس أدبي زمانا خاصا به يولد وفيه ينمو ويموت فله حياته الخاصة به على امتداد زمني ، لذا يعتبر عبد الركيبي المقال القصصي هو الشكل البدائي الأول الذي بدأت به القصة القصيرة وقد تطور عن المقال الأدبي بل تطور عن المقال بالدرجة الأولى ، وهذا ما عمل الركيبي على رصده من خلال تتبعه لتطور الأشكال القصصية من الشكل البدائي الأول إلى الشكل الناضج على النحو التالي (3):

1 - ينظر: يوسف وجليسي ، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية ، ص 25 .

2 - أحمد الحاج أنيسة : المسار النقدي لدى عبد ركيبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ط ، د ، ت ، ص 195 .

3 - عبد الله ركيبي : القصة الجزائرية القصيرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، تونس ، د.ط ، م ، 1983 ، ص 6

المقال القصصي ← الصورة القصصية ← القصة الفنية القصيرة

ومن بين المؤلفات التي احتضنت المنهج التاريخي " عند عبد الله ركيبي " ، نجد أطروحته للدكتوراه والموسومة بالشعر الديني الجزائري الحديث ، حيث يعلن عن انتمائه المنهجي المماثل لدراسته الأولى عن القصة فيقول " والواقع أننا اخترنا منها لهذا البحث يجمع بين النقد والتاريخ "(1) ، ويتجلى لنا حضور المنهج التاريخي من خلال رصد الظروف والمؤثرات التي في الشعر ، مع محاولة تحديد مدى تأثير العمل الشعري وصاحبه بالبيئة ، ومدى تأثيرهما فيها وهذا ما مكنه من تحديد اتجاهات الشعر وأغراضه .

وفي دراسته الموسومة بـ "دراسات في الشعر الجزائري الحديث " نجده أيضا يمزج بين المنهجين التاريخي والنقدي ، فيقول " في هذه الدراسة قد مزجت بين النقد والتاريخ والدرس ولم أعمد للتاريخ... إلا كعامل من العوامل التي توضح الفرق بين شعر مرحلة وأخرى .." (2) .

إذ انطلق في هذه الدراسة من رؤية تاريخية من خلال رصد لمراحل تطور الشعر، وأهم العوامل التي ساعدته على ذلك ، معرجا على أهم الأحداث التاريخية التي عرفتها الساحة الأدبية، والفكرية ، والسياسية في الجزائر(3) ، لإثبات مدى تعبير هذا الشعر عن روح الشعب ومدى مسابرتة للواقع الجزائري .

وإذا كان الناقد عبد الله ركيبي قد وازن دراساته السابقة بين منهج النقد والتاريخ، فإننا نجده قد غلب النزعة التاريخية في مؤلفه فلسطين في الأدب الجزائري الحديث ، وهذا ما يؤكد بقوله : " إن تطور القضية الفلسطينية التي مرت بمراحل مختلفة تدفع الباحث إلى أن يختار المنهج التاريخي أكثر من المنهج النقدي تقويما وتفسيرا ومقارنة ، ويستعرض الإنتاج الغزير الذي ظهر في الشعر الجزائري منذ ما يقرب من نصف قرن ، ولكي يتضح هذا المنهج فلا بد من مسابرة القضية وتطورها زمنيا وسياسيا " (4)، متعرضا إلى تطور القضية عبر مراحل زمنية لما للزمن من أثر على القضية الفلسطينية.

ومن هذا المنطلق التاريخي تناول بداية القضية الفلسطينية منذ ظهورها على الساحة السياسية مركزا على البيئة الجزائرية التي ظهر فيها الشعر الجزائري الذي احتضن القضية الفلسطينية في أبياته .

1 - عبد الله ركيبي : الشعر الديني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 1981 م ، ص 8 .

2 - عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ط ، 1962 ، ص 9 .

3 - ينظر: عبد الله ركيبي : المرجع السابق : ص 11 .

4 - عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث ، دار صبر والنشر ، سوريا ، د . ط ، 1986 ، ص 28 .

3- صالح خرفي:

الدكتور صالح خرفي هو من بين أبرز رواد المنهج التاريخي في النقد الأدبي بالجزائر، فقد كان له إسهام كبير في غزارة الرصيد الأدبي والنقدي وذلك من خلال التأريخ له عبر ديوانين عنونهما ب "أطلس المعجزات" و "أنت بلادي".

أما عن بصمته في النقد أو المنهج التاريخي بالخصوص فقد قدم مؤلفين رئيسيين، أولهما "شعر المقاومة بالجزائر" وهو باكورة اهتماماته الأكاديمية، إذ قدمه كمشروع لنيل شهادة الماجستير بجامعة القاهرة سنة 1966، وثانيهما "الشعر الجزائري الحديث" وهو أيضا مشروع قدم لنيل الدكتوراة بالجامعة نفسها عام 1970 (1).

حيث أن جولة في هذين الكتابين لـ "صالح خرفي" تبين لنا مدى اعماله للمنهج النقدي التاريخي فلفظة العنوان "شعر المقاومة" دلالة على الايمان بعلاقة الأحداث المحيطة بالنقد والأدب، فشعر المقاومة هو الشعر الذي يترجم معاناة الشعب الجزائري تحت وطأة المستعمر.

كما يتضح مدى تركيز صالح خرفي على البيئة التي يعيشها المبدع ويعايشها، والظروف النفسية والاجتماعية ومدى تأثيرها في تشكل العمل الأدبي (2).

كما قام الدكتور صالح خرفي بعدة دراسات أخرى غير أكاديمية وهي تعد بمثابة اللبنة الأولى لمحاولاته في النقد التاريخي، والتي منها "شعراء من الجزائر" و"المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث" ثم تلتها سلسلة "في الأدب الجزائري الحديث". هذه الأخيرة تعرض فيها لأربعة أدباء: عمر بن قنور الجزائري، رمضان حمود، محمد السعيد الزاهري، محمد العيد آل خليفة، والهدف من التعرض لهؤلاء هو الكشف عن إنتاج مغمور. وإثبات النصوص النادرة لأصحابها والخوض في تاريخ النصوص وتاريخ كتابتها. وهي إحدى أدوات المنهج التاريخي في النقد. ويعضد ذلك ما تعرض له خرفي عن رضا حوحو من خلال كتابه "أحمد رضا حوحو في الحجاز" حيث تعرض لحياته بالتفصيل من الميلاد إلى الاستشهاد "1911—1956". ومن نشأته في الجزائر إلى شبابه في الحجاز وبعض من الملابس التاريخية المصاحبة له في حياته (3).

4- محمد ناصر:

لقد خص محمد ناصر الجزء الأكبر من تجربته العريضة في البحث والنقد على دراسة الادب في مرحلة ما قبل الثورة، وقد ظل أمينا للرؤية المنهجية، وعلى ضوئها عالج مفدي زكريا شاعر النضال والثورة وأبا اليقظان وجهاد الكلمة، كما أنه خص حياة رمضان حمودة وأثاره "بدراسة

1- ينظر يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 29

4- المرجع نفسه ص 29

1- ينظر: المرجع نفسه ص 31

مطولة تتعامل مع الكاتب تعاملًا لا يختلف كثيرا عن تعامل محقق مع مخطوطة نادرة أعياء البحث عنها " (1) وهي من مبادئ المنهج التاريخي الذي يعتبر النص كوثيقة تاريخية.

و درس في مرحلة الماجستير المقالة الصحفية الجزائرية دراسة تاريخية وافية " ولعل مراعاة المنهج التاريخي الذي هداني إليه ، وألزمني به في كل مراحل البحث أستاذي المشرف ، يعتبر جزءا من الجهد المتواضع الذي تقدمه هذه الرسالة ، لأنها ترسم تطورا تاريخيا للفكر الجزائري " (2) ومن هنا كان من الأنسب أن يختار المنهج التاريخي لدراسة المقالة الصحفية الجزائرية.

أما مؤلفه الشعر الجزائري الحديث فيمثل أرقى مستويات التعامل التاريخي مع الظاهرة الأدبية ، حيث حاول محمد ناصر أن يقدم دراسة شاملة عن تطور الشعر الجزائري الحديث انطلاقا من سنة "1925م" ، إلى غاية سنة "1975م" ، راصدا لأهم التغيرات التي تعرض لها خلال هذه الفترة التاريخية ، فخص الباب الأول من هذه الدراسة لأهم المؤثرات الأساسية ، سياسية واجتماعية وثقافية ، التي كان لها تأثير واضح في اتجاهات الشعر الجزائري الحديث وهي : " الاتجاه التقليدي المحافظ ، والاتجاه الوجداني ، الاتجاه الجديد" ، أما الباب الثاني فتناول فيه الخصائص الفنية للشعر الجزائري الحديث ، فدرس اللغة الشعرية ، والصورة الشعرية ، والبنية الشعرية .

1 - المرجع نفسه، ص 27.

2 - محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، مج 1 ، 1978 م ، ص 17 .

الفصل الثاني :

تجليات النقد التاريخي عند أبي القاسم سعد الله من
خلال كتاب دراسات في الأدب الجزائري الحديث.

المبحث الأول : أدوات ومصطلحات المنهج التاريخي

المبحث الثاني : الدكتور أبو القاسم سعد الله حياته ومؤلفاته.

المبحث الثالث : كتاب دراسات في الأدب الجزائري الحديث : بطاقة فنية

المبحث الرابع : تجليات أدوات النقد التاريخي من خلال موضوعات الكتاب

تمهيد

قبل الحديث عن أدوات منهج النقد التاريخي ونحن بصدد التعرض لها عند الدكتور أبي القاسم سعد الله فلا بد من الإشارة إلى المرجعية التاريخية والفكرية التربوية لما لها من تأثير على الإنتاج الفني لكل كاتب ومبدع " ... الانتماء الفكري والسياسي من شأنه أن يؤثر في التوجيه العلمي لدى من يتبنونه وقد انعكس هذا التعدد والتنوع المعرفي في كتاباتهم ودراساتهم"⁽¹⁾. فسعد الله شيخ المؤرخين كما ذكرنا في سيرته أنه قد درس بالزيتونة وانتقل بين البلدان العربية وإحتك بثقافتها، وكانت الكثير من كتاباته في تلك البلدان وفي مجلاتها كل هذه العوامل تعد مرجعية له في طرق أبواب المنهج التاريخي، فقد كان له السبق في الوقوف على أعتاب منهج النقد التاريخي من مقالاته التي نشرها في مجلة الآداب اللبنانية بين سنة "1957م" و"1961م". إذ قام بجمعها فيما بعد في كتابه الموسوم " دراسات في الأدب الجزائري الحديث"⁽²⁾

¹ - فئاتح زويان: أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي، المجلة العربية، 4ع، 2007، ص08
² - أبو القاسم سعدالله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص:07.

المبحث الأول: أدوات ومصطلحات المنهج التاريخي.

إن لكل علم مصطلحات ولكل منهج خطوات وأدوات يحتكم إليها مما يضيف عليه صبغة علمية، ومنهج النقد التاريخي دراسة سياقية للنص يتطرق الناقد من خلاله للأديب من حيث حياته، نشأته، بيئته والعصر الذي يعايشه وينتج فيه أدبه وارتباطه وتأثره بالأحداث التاريخية، متأثرين في ذلك بالناقد (هيبوليت تين) (hippolyte Taine) في منهجه التاريخي الذي بناه على ثلاثية (العرق، البيئة، الزمان)، وكذا دراسة مناسبة للنص والأحداث التاريخية المحيطة به، وأصل النص والمتغيرات التي طرأت عليه جراء عمليات النشر..⁽¹⁾ وكلها لا تخرج عن ثلاثية (هيبوليت تين)

1- مصطلح النشأة:

مصطلح النشأة من الأدوات الأساسية التي يعتمد عليها المنهج التاريخي كثيرا إذ يتساءل فيها الدارس عن حياة ونشأة المؤلف والظروف المحيطة به والتي دارت حول الإنتاج الأدبي فيتعرض الناقد لجوانب مختلفة من حياة المؤلف من خلال شخصيته وأسرته، ووضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

كما أن المطلع على الدراسات المعنية بالمنهج التاريخي في النقد يلاحظ كثرة استعمال مصطلح النشأة، وهذا ما نلاحظه بكثرة في كتابات أبي القاسم سعد الله في حديثه عن الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة في مقال له نشر بمجلة الأدب اللبنانية عام "1960" تحت عنوان "محمد العيد، كبير شعراء الجزائر"⁽²⁾ كما أفرد له كتابا بعنوان "شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة" مستعملا مصطلح النشأة في حديثه عن الظروف المحيطة بالشاعر في قسمه الأول، ثم تعرض إلى تجاربه وثقافته وآراءه المختلفة.⁽³⁾ وهذا مما يدل على استخدامه للمنهج التاريخي في دراساته النقدية. واستعمل أيضا عبد الله الركيبي هذا المصطلح في دراسته عن القصة القصيرة الجزائرية.

2- مصطلح البيئة:

كثر استخدام هذا المصطلح كثيرا في دراسات أبي القاسم سعد الله في تعريفه للأدب الجزائري الذي لا يختلف عن الأدب العربي بحكم البيئة المشتركة التي تماثلت في ظروفها ومشكلاتها السياسية والفكرية التي حاول الاستعمار طمسها، ومثله ما ورد في دراسته لشعر محمد العيد وذكره في الجزء الأول من الفصل الثاني للكتاب، فأورد أن الحركة الإصلاحية كان لها تأثير على تطور الشعر وهو ما أشار إليه محمد ناصر في قوله: "تجلى في ظهور شعر جديد يختلف كثيرا عن شعرها قبيل الحرب العالمية الأولى، متعدد الأغراض يتماشى مع الواقع الاجتماعي ويستلهم وجدانه الجماعي فكان أن ظهر الشعر الوطني الإصلاحي والاجتماعي والسياسي، كما تطور من الناحية الفنية بعض التطور"⁽⁴⁾ وهذا تأكيد منه على دور البيئة في التأثير على النتاج الأدبي.

¹ - ينظر: لانسون، مايبه: منهج البحث في الأدب واللغة، تر: محمد مندور، المركز القومي للترجمة، ع2803، 2015، ص38

² - ينظر: عبد السلام حميدي والشريف نهاري: المنجز النقدي عند أبي القاسم سعد الله قراءة في المنهج والمصطلح، المدونة، المجلد08، ع01، مارس2019، ص765.

³ - يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص23

⁴ - محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ط2، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص30.

3- المناسبة:

هي ربط النصوص الأدبية بالمناسبات التاريخية والأحداث التي زامنتها ويطرح الدارس تساؤلات عن تاريخ تأليف النص لا تاريخ النشر، وتاريخ أجزاءه.⁽¹⁾

لقد صرح سعد الله بذلك في مقدمة دراساته " بدأت في التعريف بالأدب العربي في الجزائر منذ كنت طالبا بالزيتونة ففي عام "1954" نشرت لي مجلة الآداب اللبنانية مقالا...تناولت في علاقة الأحداث الجزائرية بأدب الملاحم... " كما يقول "وقدة كانت أحداث الثورة تشجعني وتثير حماسي"⁽²⁾، فلا يخلو نص أدبي أورده في هذا الكتاب إلا وأردفه بتاريخ إنشائه ومناسبته.

4- مصطلح المرحلة والتطور:

وهي أداة تربط بين النص الأدبي والزمن الذي نشر فيه، يعمد من خلاله الدارس إلى التطرق إلى تطور جنس أدبي ما عبر فترات زمنية مختلفة ودراسة التغييرات التي طرأت عليه أثناء النشر.

تطرق الكثير من النقاد لهذا المصطلح في دراساتهم النقدية نذكر على سبيل المثال لا الحصر أبو القاسم سعد الله هذا المصطلح كثيرا في دراساته التي سنتطرق إليها لاحقا، في تقسيمه للشعر الجزائري الحديث، ويرى سعد الله أن هذه الآلية هي التي يقوم عليها المنهج التاريخي و أردف قائلا: " .. لدراسة الشعر الجزائري دراسة تتماشى مع ما بحثناه سابقا وضعنا له هذا التصميم وذلك بتقسيمه حسب الفترات التي يكثر فيها الاصطراع الشعبي وتندافع أثناءها الأمواج الوطنية المختلفة"⁽³⁾.

ونجد أيضا عبد الله الركيبي في تتبعه القصة الجزائرية تاريخيا من "1928" إلى "1962" في كتابه المعنون ب: "القصة الجزائرية القصيرة".

4- مصطلح المؤثرات:

هو مصطلح تعمد إليه أغلب المناهج السياقية لأنه يعنى بكل ما هو خارج سياق النص والعوامل التي لها تأثير بارز في إنتاجه.

لقد لاقى رواجاً كبيراً بين الدارسين محتكمين إليه بشدة، ذلك لأنه لا وجود لنتاج أدبي دون عوامل أو مؤثرات ومن بينهم الدكتور سعدالله، إذ أفرد له عنواناً فرعياً " الأدب الجزائري – مؤثراته وتياراته – " في دراسته التي نحن بصدد التعرض لها، ويعضد ذلك قائلاً: " ظهور الأديب كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بعدة مؤثرات مهدت له الطريق.."⁽⁴⁾ تلك العوامل والمؤثرات التي تشابكت لتبدع نسيجاً أدبياً، يفجر به الجمود ويكسر به الركود، ويتطلع من خلاله إلى وطن يلوح في الأفق. وهذا ما نجده عند رضا حوحو في رواياته حين صور الفقر كما صور هيكاتور هيجو، وكيف تأثر بالثقافات العربية المختلفة فأنتج "غادة أم القرى" على الرغم أنه عيبت عليه هذه الرواية وهو من رواد التيار السلفي الاصلاحى.

¹- ينظر: لانسون، ماويه: ص37.

²- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص07.

³- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص35.

⁴- أبو القاسم سعد الله س: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، 2007، ص23.

المبحث الثاني: الدكتور أبو القاسم سعد الله حياته ومؤلفاته.

اشتهر الشيخ أبو القاسم سعد الله بكتابه التاريخية التي أثرى بها المكتبة الجزائرية، لتصبح من المراجع التي تستند إليها المدرسة الجزائرية المعاصرة، وقد أفنى كل حياته في تدوين التاريخ الجزائري.

يعد أبو القاسم سعد الله مؤرخا بل هو عميد الدراسات التاريخية في الجزائر ، ولكن بعض مؤلفاته مثل "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" و "منطلقات فكرية" و "تجارب في الأدب الرحلة" و "ثائر الحب" ومقالاته الصحفية تجعله مثقفا موسوعيا بل مفكرا وناقدا من الطراز الأول فقد أقر بأنه كان "شاديا في النقد الأدبي" فكتب "مع حمار الحكيم" للمرحوم رضا حوحو ومجموعة "ألحان الفتوة" للأستاذ "محمد صالح رمضان" ، ويعود بعضها إلى الستينيات مثل رأيه في مسرحية "التراب" و "بحيرة الزيتون" لأبي العيد دودو و "مصرع الطغاة" والقصة القصيرة للدكتور عبد الله الركبي و أيضا مسرحيات توفيق المدني ومحمد العيد آل خليفة ومصطفى الأشرف⁽¹⁾.

1- مولده ونشأته

"ذكر الدكتور سعد الله في محاضرة ألقاها يوم 27 أفريل 2005 برحاب المركز الجامعي بالوادي أنه ولد بقمار بتاريخ 1927 م وليس عام 1930م كما ورد في سجل الحالة المدنية"⁽²⁾.

ولد أبو القاسم سعد الله بقرية "البدوع" المجاورة لمدينة قمار الواقعة بوادي سوف، وهو أول إخوته لأمه⁽³⁾ وينتسب أبو القاسم إلى عرشين هما أولاد عبد القادر من جهة الأب و أولاد بوعافية من جهة الأم عرفت عائلتهم باسم أولاد علي مسعودة وعلي هو جد والد أبو القاسم سعد الله.

وقد كانت نشأته في أسرة فقيرة تمتهن الزراعة و أهله من أوائل الفلاحين الذين عملوا في قرية البدوع بغراسة النخيل وقد قال أبو القاسم عن نفسه كان عند خروجه إلى الدنيا وطاؤه الأرض و غطاؤه السماء، كما قال أيضا أنهم يذكرون عند ميلاده كانوا لا يفترشون سوى الرمال ولا تظله غير سقائف من جريد النخيل⁽⁴⁾، عاش أبو القاسم سعد الله في أسرة كبيرة العدد متكونة من خمسة اخوة من جهة الأب وخمسة اخوة أشقاء⁽⁵⁾.

1 - عبد الله الاطرش، فاطمة يحيوي : النقد المسرحي عند أبي القاسم سعد الله ، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة باتنة 1 ، المجلد 21 العدد2، ديسمبر 2022، ص 752.

2 - عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي الشهير الدكتور أبو القاسم سعد الله، أعمال الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا ومفكرا ، يومي 13 14 ديسمبر 2015، جامعة الوادي ، ص 8.

3 - مختار سامي: أبو القاسم سعد الله المؤرخ و المحقق والمترجم، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2،مجلد23،العدد2022،1،ص160.

4 - خالد مريم: السيرة و المسيرة التعليمية للدكتور أبو القاسم سعد الله، المجلة الخلدونية للعلوم الانسانية و الاجتماعية، المجلد 9، العدد2016، 1، ص247 ، 248.

5 - خالد مريم : المرجع نفسه ، ص 249.

حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه بقريّة البدوع على يد الشيخ بلقاسم بن البرية "زبيري" وعمره لم يتجاوز الخامسة عشر عاما⁽¹⁾، كما حفظ المصنفات و المتون في النحو و الصرف و الفقه و العقائد⁽²⁾، و بعد اتقانه وحفظه للقرآن الكريم وفهمه للمبادئ الأولية للغة العربية، اشرأت نفسه و تعلقت بتلقي المزيد من العلم و المعرفة فكانت وجهته الأولى جامع الزيتونة الذي كان آنذاك قبلة لطلاب العلم من الجزائر و حلم كل راغب. ويقول سعد الله عن العوامل التي حفزته للسفر إلى تونس والالتحاق بجامع الزيتونة من أجل مواصلة دراسته، هو انتشار أفكار الحركة الإصلاحية في منطقة وادي سوف آنذاك.⁽³⁾ كما كان تشجيع والدته له في حفظه للقرآن الكريم و الالتحاق بجامع الزيتون أسوة بخاله الحفناوي هالي و رغم معارضة والده في بداية الأمر، لكن بإقناع من الشيخ طاهر تليلي عدل الأب عن رأيه.⁽⁴⁾

2- مسيرته العلمية

التحق سعد الله بجامع الزيتونة بين 1947 م و 1954 م وتحصل على الشهادة الأهلية في 1951 م وشهادة التحصيل سنة 1954 م وفي نوفمبر 1954م عاد إلى الجزائر ليعمل مدرسا بمدرسة الثبات بالحراش ثم بمدرسة التهذيب بالعاصمة سنة 1955م ليسافر في السنة نفسها إلى مصر وهذا بعد ظروف عصيبة عاناها في الجزائر من مضايقات الاستعمار الفرنسي فذهب إلى تونس ثم إلى ليبيا ليصل إلى مصر، أراد التسجيل في جامعة القاهرة لكن لم يتم ذلك بعدها قبل في كلية دار العلوم ليثبت تفوقه عن جدارة واستحقاق، تخرج فيها بشهادة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية سنة 1959م ثم سجل في الدراسات العليا تخصص النقد الأدبي فآتم السنة الأولى وأنهى الرسالة في السنة الثانية حول شعر محمد العيد آل خليفة غير أنه لم يناقشها حيث سافر سنة 1960 م إلى أمريكا بعد تحصله على منحة دراسية⁽⁵⁾.

سافر أبو القاسم سعد الله نحو الولايات المتحدة الأمريكية في 30 نوفمبر 1960 بعد تحصله على التأشيرة من القنصلية الأمريكية بتونس، وسجل بجامعة مينيسوتا وبدأ دراسته فيها يوم 20 ماي 1961م بقسم الآداب تخصص دراسات أمريكية قبل أن يتحول إلى قسم التاريخ والعلوم السياسية ودرس بها حتى حصوله على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، ونال الدكتوراه يوم 20 سبتمبر 1965م، ليتخصص بعدها في اللغات فأتقن اللغة الفرنسية كما تعلم الإسبانية والفارسية فترجم العديد من الكتب الفارسية ومبادئ الألمانية⁽⁶⁾.

1 - عاشوري قمعون: المرجع السابق، ص 8.

2 - رضوان شافو: عوامل التأثير الثقافي و الاجتماعي في تكوين شخصية أبو القاسم سعد الله، أعمال الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا ومفكرا، يومي 13-14 ديسمبر 2015، جامعة الوادي، ص26.

3 - خالد مريم: المرجع السابق، ص252.

4 - المرجع نفسه، ص252-253.

5 - حفيظة الزين: النقد الأدبي في آثار أبي القاسم سعد الله، رسالة دكتوراه، كلية الآداب و اللغات، جامعة قسنطينة، 2015، ص 15

6 - نجيب بن خيرة: أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة، الطبعة 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2014، ص 362.

واستطاع بعد ذلك التعاقد مع جامعة أوكلير بولاية ويسكنسن ليبدأ مشواره التدريسي بها بعد تفوقه في المقابلة النهائية التأهيلية تحت إشراف البروفيسور هارلود ديوتش وهذا لسمعته الحسنة وأخلاقه الطيبة⁽¹⁾.

عاد سعد الله إلى الجزائر في أكتوبر "1967"م للتدريس بجامعة الوحيدة آنذاك بصفته أستاذا محاضرا ، ورغم الظروف الصعبة التي لاقاها في الجزائر إلا أنه أثبت شخصيته الأكاديمية بتدريسه ونشاطه في خدمة الجامعة² ، وإضافة إلى نشاطه التدريسي كانت له عدة نشاطات أخرى بالمشاركة في إلقاء المحاضرات والمؤتمرات ونشره للعديد من المقالات في الجرائد وتوليه المهام الإدارية حيث انتخب نائبا لعميد كلية الآداب ثم رئيسا لقسم التاريخ وعضوا في لجان إصلاح التعليم والتعريب وحاول سعد الله تطبيق الطرق الحديثة في التدريس بناء على تجربته الأمريكية في ميدان البحث العلمي لاستفادة الجامعة والطلبة منها⁽³⁾ ، كان رحمه الله متواضعا يتعامل مع طلبته كأنهم أبناءه لا يفرق بينهم يستمع لانشغالاتهم ويساعدهم ويشجعهم على التعلم والبحث والمطالعة إذ كان حريصا على تكوين طلبة فعالين بنائين في المجتمع⁽⁴⁾.

عاد سعد الله إلى أمريكا بعد تحصله على منحة (فولبرايت) سنة 1993 م ، ليختلي هناك ثلاث سنوات أتم فيها تحرير درة من درر المكتبة الجزائرية في التاريخ ، كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" قام سعد الله بتقديم طلب للعمل لمجموعة من الجامعات العربية وتم قبول طلبه من جامعة آل البيت بالأردن ، و وقع معها عقدا لمدة سنة قابلة للتجديد، وبدأ العمل بها ابتداء سبتمبر 1996م، و كلف بتدريس طلبة الدراسات العليا نظرا لمؤهلاته و خبرته ، كما درّس بعض الوحدات لطلبة الليسانس أسندت له مادتين كما يقول : استقر الوضع في التدريس على مادة التطور الثقافي للعالم الإسلامي الحديث، و مادة الحركات التحررية في العالم الإسلامي الحديث.⁽⁵⁾

الحديث.⁽⁵⁾

وبعد قضاء ست سنوات بجامعة الأردن أعطيت له رسالة إعفاء بتاريخ 30 ماي 2003م لتكون بداية النهاية مع جامعة الأردن.⁶

3- وفاته

توفي الشيخ أبو القاسم سعد الله عن عمر ناهز 83 سنة بالمستشفى العسكري بعين النعجة بالعاصمة يوم السبت 14 ديسمبر 2013 م بعد صراع مع المرض وقد دفن

1 - مراد وزناجي: حديث صريح مع أبو القاسم سعد الله في الفكر و الثقافة و التاريخ ، منشورات الخبر، 2007، ص49.

2 - مريم الخالدي : أبو القاسم سعد الله حياته و أعماله 1930-2013 ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجيلالي اليباس سيدي بلعباس ، 2018، ص137.

3 - نجيب بن خيرة : ا أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة ، المرجع السابق، ص 80.

4 المرجع نفسه ، ص 82

5 - أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، المجلد 6، (ط خ) ، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص241.

6 - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص365.

جنّمان العلامة المؤرخ أبو القاسم سعد الله بمقبرة
البدوع بمسقط رأسه ببلدية قمار في ولاية الوادي، تنفيذاً لوصيته⁽¹⁾.

بموته فقدت الجزائر علماً من أعلامها وسقط ركن ركين في تاريخ الجزائر، وفقدت شخصاً
عاش حياته كلها في خدمة الجزائر وتاريخها وثقافتها.

4- مؤلفاته

لم يكتف أبو القاسم سعد الله بالتدريس والإشراف على بحوث الطلبة بمعهد العلوم الاجتماعية
بجامعة الجزائر بل تعدى نشاطه إلى التأليف والبحث المستفيض في الأدب والتاريخ و الفكر .

من أهم مؤلفاته:

1-4 في الأدب:

- النصر للجزائر (شعر) 1986
- ثائر الحب (شعر) 1977
- الزمن الأخضر (ديوان) 1985
- سعة خضراء (قصص) 1986
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث 1985
- محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث 1984
- حكاية العشاق في الحب و الاشتياق رواية (تحقيق) 1983
- القاضي الأديب: الشادلي القسنطيني 1985
- تجارب في الأدب و الرحلة 1984
- أشعار جزائرية (تحقيق) 1988

2-4 التاريخ:

- الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الأول 1989
- الوطنية الجزائرية الجزء الثاني 1983
- الوطنية الجزائرية الجزء الثالث 1986
- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال 1982
- حياة الأمير عبد القادر ترجمة كتاب تشرشل 1982
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الجزء الأول 1982
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الجزء الثاني 1986

¹ - خالدي مريم : السيرة و المسيرة التعليمية للدكتور أبو القاسم سعد الله ، ص 250.

- أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر الجزء الثالث 1988
- الجزائر و أوروبا ترجمة كتاب جون وولف 1986
- تاريخ العدوانى (تحقيق) 1989
- تاريخ الجزائر الثقافى 1988
- شعوب و قوميات 1985
- 3-4 دراسات وأبحاث عامة :
- منطلقات فكرية 1982
- المفتى الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامى 1985
- رحلة ابن حمادوش الجزائري لسان المقال (تحقيق) 1983
- الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري (دراسة) 1982
- شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون 1986
- منشور الهداية في كشف حال من ادعى المعلم و الولاية لعبد الكريم الفكون (تحقيق) 1987
- قضايا شائكة 1989
- أفكار جامعة 1988

المبحث الثالث: كتاب دراسات في الأدب الجزائري الحديث: بطاقة فنية.

1- الكتاب:

عنوان الكتاب: دراسات في الأدب الجزائري الحديث .
الطبعة : الخامسة ،سنة 2007م، عن دار الرائد للكتاب بالجزائر.
عدد صفحاته: 136 صفحة.

2- مادة الكتاب:

هذا الكتاب هو عبارة عن مقالات كتبها الدكتور سعد الله في مجلات ودوريات عربية مختلفة حين كان بالقااهرة (1955م – 1960م) وهذا ما جاء في مقدمة الطبعة الأولى إذ يقول:
"والحق أن هذا الكتاب مجموعة من الدراسات التي كنت قد نشرتها في الدوريات العربية .."(1)
حيث صدر هذا الكتاب في ثلاث طبعات لا تختلف إحداها عن الأخرى إلا فيما ندر من تصحيحات لغوية أو ضبط تاريخي للأحداث. فهو مدين للروح التاريخية و الثورية التي تمخض عنها حيث يقول الكاتب "لم أعد كتابة هذه الأبحاث، لكني راجعتها لضبط تاريخ أو تصحيح عبارة أو نحو ذلك . وكان ذلك رغبة مني في أن تحتفظ هذه الدراسات بطابعها التاريخي والعاطفي.." (2).

لقد بدأ واضحا طغيان روح المؤرخ على كتاباته الأدبية والنقدية من خلال هذه العبارة ومن خلال تقسيمه للشعر الجزائري تبعا للتطور التاريخي له.

يتناول الكتاب إحدى عشر موضوعا، انتقاها أبو القاسم وجمعها في هذا الكتاب، على اعتبار أنها دراسات متفرقة كما أسلفنا الذكر نشرت في عدة مجلات عربية ذكرناها سابقا، وهذه هي المواضيع مرتبة كما وردت في فهرس الكتاب:

- 1- رأي أوروبي في الأدب الجزائري.
- 2- الأدب الجزائري مؤثراته وتياراته.
- 3- تصميم للشعر الجزائري الحديث.
- 4- شخصية البطل في الأدب الجزائري.
- 5- الغزل في الشعر الجزائري.
- 6- محاولتنا في النقد الأدبي.
- 7- رضا حوحو ونضال الكلمة.
- 8- كُتَّاب الجزائر بالفرنسية.
- 9- القضايا العربية في الأدب الجزائري.
- 10- الجمعيات والنوادي الثقافية في الجزائر.
- 11- أرض الملاحم.

¹ - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد، الجزائر، 05، ص07
² - المرجع نفسه، ص08.

3- أسباب تأليف الكتاب:

- يعد الدكتور أبو القاسم سعد الله من السابقين للتأريخ للأدب الجزائري حيث أنه كان يعزي بعض الفجوات الموجودة في كتابه "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" إلى عدم وجود مؤلفين أو مؤرخين قبله. "كنت أرود طريقا مبهما و أسير بلا دليل إذ لا أعرف أحدا قد أرخ قبل هذه الأبحاث في الأدب الجزائري العربي أو تناوله بالنقد والتقييم".⁽¹⁾

- يذكر المؤلف في مقدمات بعض الطبعات المختلفة للكتاب، أن التأليف في ميدان الأدب الجزائري جد قليل، وباهت يكاد يعدم، ومن تصريحاته إزاء هذا الشأن: "إن حالة الأدب الجزائري الحديث حالة يرثى لها، وما أضال حركة هذا الأدب اليوم إزاء حركته خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن رغم اختلاف الظروف والدوافع والإمكانيات".⁽²⁾

- ومن بين الأسباب التي دفعت سعد الله لتأليف هذا الكتاب هو ندرة الإنتاجات الأدبية كالقصة والمسرحية إلا من الشعر مع كونه إنتاجه ضعيفا بالقياس إلى التجارب المعاصرة ضعيفا من عدة وجوه أهمها ضحالة الثقافة، والاحتفاظ بالأساليب القديمة، وقلة التيارات الفكرية، "وقد كانت هذه الحقيقة هي التي دفعتني إلى نشر هذه الدراسات".⁽³⁾

- ومن الأسباب أيضا بيان تطور الفنون الأدبية العربية في الأدب الجزائري، التي منها ما ظهرت متأثرة بالأداب العربية ومنها ما هي متأثرة بالأدب الفرنسي من خلال ما أورده في موضوع "كتاب الجزائر باللغة الفرنسية".⁽⁴⁾

4- منهج الكتاب:

بالنظر إلى الموضوعات المختلفة التي تطرّق إليها الكتاب، نجد أنه محض (جمع) للدراسات السابقة التي شارك بها في المحافل العلمية، مع وجود بعض ملامح (التصحيح) و(التحقيق) لبعض النصوص، وفق ما أورده المؤلف في مقدمة الكتاب.

¹- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص09.

² - المرجع نفسه، ص05.

³ - المرجع نفسه، ص06.

⁴ - المرجع نفسه، ص07.

المبحث الرابع: - تجليات أدوات النقد التاريخي من خلال موضوعات الكتاب.

الموضوع الأول: رأي أوربي في الأدب الجزائري أوائل القرن التاسع عشر.

هو مقال مترجم للشاعر والمؤلف الأسكتلندي توماس كامبل Thomas Campbell من كتابه "رسائل من الجنوب" ترجم سعد الله جزء منه في هذا المقال. إن البعد التاريخي لهذه القصيدة هو ما استهوى سعد الله لترجمتها فالقصيدة لشاعر ملحمي رومانتيكي لم يجد ضالته بالجزائر، لأنه لم تكن هناك تأليف ملحمي في بلدنا آن ذاك. حيث يعتقد سعد الله أنها تؤرخ لمرحلة من الزمن لم توجد فيها الطباعة ولا التأليف، كما تفسر علاقة الذوق الأوروبي بالذوق الجزائري.⁽¹⁾

وقد تجلى لنا استخدام سعد الله للنقد التاريخي في القصيدة من خلال إخضاعه للمساءلة عن كاتبها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية ثم ترجمة كامبل للغة الانجليزية مع الاعتراف بعدم توفر النص الأصلي لها⁽²⁾ فالبحث عن تاريخ النصوص ونشأتها والتحقيق في ترجمتها من أدوات منهج النقد التاريخي التي عمد إليها سعدالله في دراساته النقدية، بغية التحقق من أصل النص الأدبي الذي يعتبر بمثابة وثيقة تاريخية يجب أن تخضع لإجراءات منهجية للتعلمق فيها والتحقق من صحتها.

الموضوع الثاني: الأدب الجزائري مؤثراته وتياراته:

الأدب الجزائري له ظروفه وبيئته المحيطة مثله مثل الأدب العربي فهو يرتبط به بيئيا وتاريخيا، كونهما ولدا في نفس الظروف والمشكلات التاريخية والفكرية إلا أنهما يختلفان في تأثير الاستعمار. فإذا كان هذا الأخير نعمة على بعض الدول حيث جلب لها الطباعة والصحافة كمصر ولبنان...، إلا أنه كان أكبر نقمة على الجزائر، فقد ركز على الإطاحة بكل القيم الفكرية، فلم يأت الاستعمار ليبيّن بل ليسلب هوية الشعب ويجرده من مقوماته.

ساهمت هذه الظروف الاستعمارية في جمود وركود الحركة الأدبية والثقافية بسبب تشتت الأدباء والشعراء الجزائريين باندماج بعضهم في صفوف المقاومة، وانشغال الناس بهمومهم عن التعبير الجميل ومليح الغزل وروعة الوصف. "وكان الأدب أصبح ينتظر عهدا من الاستقرار والهدوء أو ينتظر بعثا سحريا يشع فيه الحياة لكي ينهض ويتحرك"⁽³⁾. فالأديب لا ينعم بالراحة ولا يملك النفس والوقت الكافيين للكتابة والتعبير عن الكآبة.

المؤثرات: صحيح أن الأدب الجزائري سادته هدوء واستقرار أدى إلى ركوده وهو ناجم عن فشل جميع المحاولات تحت صليل الحديد ومباركة النيران والتفوق المادي للمستعمر فما كان من الأدباء إلا التوجع في صمت والبكاء دون دمع.

- بعد مرور حوالي قرن من الزمن سنحت الفرصة لتأثيرات سحرية ارتبط ظهور الأدب بها. وهي مؤثرات مختلفة الجوانب فتحت أمام الأديب منافذ كثيرة، وقد تعددت هذه المؤثرات منها الثقافي والاقتصادي ومنها السياسي والديني.

¹ - ينظر: سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، 2007، ص11.

² - ينظر: سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، 2007، ص16.

³ - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص22.

المؤثر الغربي: وذلك باتصال الجزائر بفرنسا سياسيا واقتصاديا وثقافيا منذ 1830م، إلا أن هذا التأثير بقي بطيئا بسبب عدم الاستجابة والتمسك بالهوية الجزائرية، فلم يجد المستعمر طبقة كبيرة تعترف له بحق الإشراف على إدارة المؤسسات الثقافية. فلم تحض الحضارة الغربية باهتمام الكتاب الجزائريين إلا فئة قليلة ممن رأوا فيها تغطية للنقص الذي تعانيه الحضارة الجزائرية من نظيرتها الشرقية التقليدية، بمنظور الاندفاع التقدمي، وأدى هذا المؤثر إلى ظهور شعراء وأدباء جزائريين " بوسائل غربية" (1) فما للكاتب الجزائري إلا التأثر بلغة المستعمر وأدبائه وبدى هذا التأثر واضحا من خلال ما كتبه الأديب الجزائري باللغة الفرنسية وترجمته للأدب الفرنسي مثلما نجده عند رضا حوحو ومولود فرعون.

المؤثر الشرقي: إنه من الطبيعي بمكان أن يتأثر الجزائري بالمشرق العربي في أفكاره وثقافته. وتجاربه المختلفة فمن الطبيعي أن يتأثر الأدب أيضا. تقليدا للمشرق وبحثا عن كل ما هو جديد ومن تجارب المشرق نذكر على سبيل المثال لا الحصر علاقته بالأتراك ومحاولة التخلص من حكم العصور الوسطى، وتجاربه مع الأجانب الذين عزموا على غزوه واستغلال ثرواته وتقسيم كيانه، فمن الطبيعي أن تتأثر الجزائر بكل ما هو مشرق فكل خطوة إصلاحية أو ثورة أدبية يصل صداها بسرعة مذهلة إلى الجزائر (2).

المؤثر الوطني: هو مزيج من الأحداث الكبيرة والتأثيرات الاستعمارية، فالمستعمر قد حطم جميع المقومات الأساسية للأمة الجزائرية مما أدى إلى تأخر ظهور القيادة الواعية. لقد تداخلت هذه المؤثرات ليكون تأثيرها عميقا في الحركة الأدبية الجزائرية فظهرت تيارات أدبية مرتبطة ارتباطا وثيقا بتلك المؤثرات والتي هي: التيار التقليدي القديم في شكله وموضوعه وموسيقى شعره ويمثله بعض الشيوخ أمثال: أحمد كاتب الغزالي، وعاشور الخنقي، والمولود بن الموهوب (3)، الذين فضلوا المحافظة على الشعر القديم حفظا للغة الشعب الجزائري وحفظ مقومات هويته.

التيار الرومانتيكي: وهو تيار الهروب من مكابذ ومعاناة الاستعمار. ظهر بعد الحرب العالمية الأولى متأثرا بعاملين أساسيين هما: " وصول مبادئ الرومانتيكية الجديدة من فرنسا إلى الجزائر، وتأثر الجيل الدارس للثقافة الفرنسية بتلك المبادئ" (4) وهو ما أسلفنا ذكره عن الكتابات الجزائرية باللسان الفرنسي.

التيار الواقعي: يعد هذا التيار نتاجا لتطور الحركة الوطنية في الجزائر وتبلور الأفكار التحررية والثورية فبرز هذا التيار جامعا بين التيارين التقليدي والرومانتيكي، فظهر له فرع عربي اللغة، يجمع بين القديم والحديث وقد تمثل في الشعر الذي نظم بين: 1930م – 1954م. وفرع فرنسي اللغة غامض الأهداف ممثلا في بعض القصص والروايات بين 1946م – 1954م. (5) فهو

1 - ينظر: سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص24

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص:24.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص:27.

4 - سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص27

5 - ينظر: سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص28.

يحاول الجمع والتوفيق بين الحفاظ على التراث القديم، ومواكبة التقدم ومخاطبة الحضارة الأخرى .

خلاصة:

في هذا المقال يتحدث الدكتور سعد الله عن "نشأة الأدب الجزائري" وعلاقته بالأدب العربي ودور اتصال الجزائر بفرنسا ثقافيا وحضاريا منذ سنة 1830م، كما تحدث عن البيئة التي فرضها المستعمر فكانت سببا في هروب بعض الكتاب الجزائريين إلى التيار الرومانتيكي للهروب من الآلام والمعاناة وقد أدى أيضا تبادل التأثير والتأثر وأسهم في ظهور أدب جزائري وجد فيه الكاتب الجزائري متنفسا وملاذا يعبر من خلاله عن معاناته من وطأة الاستعمار حينما ومحاولة إيصال صوت الشعب للإدارة الفرنسية حينما آخر فظهر أدب جزائري بلسان فرنسي و أدب فرنسي بلسان جزائري متأثرا بالصحافة والترجمة.

الموضوع الثاني: تصميم للشعر الجزائري الحديث.

تطرق المؤلف في هذا الموضوع إلى أسباب قلة نتاج الشعر الجزائري وأعزى ذلك إلى البيئة الاستعمارية وتطرق إلى أسباب رسوخ القدم الاستعمارية.

كما بين أن الشعر الجزائري لم ينضم للأحزاب والتيارات السياسية وإنما اختار المنظمة الجزائرية الوحيدة الداعية للإخاء، والعدالة والحرية، ألا وهي جمعية العلماء المسلمين التي أسسها عبد الحميد بن باديس⁽¹⁾، وهذا من قبيل التأثر بالشيخ عبد الحميد ابن باديس والبيئة المعاشة أن ذلك تحت مضايقات المستعمر ومحاربتة للغة العربية.

قسم سعد الله دراسته للشعر الجزائري إلى خمس مراحل إذ يقول في هذا الشأن " وذلك بتقسيمه حسب الفترات التي يكثر فيها الاصطراع الشعبي، وتتدافع أثناءها الأمواج الوطنية في أشكال مختلفة"⁽²⁾ تأكيداً منه على أهمية الأحداث التاريخية والتيارات السياسية والأزمات الاقتصادية في التأثير على الإنتاج الأدبي، فمن الطبيعي أن يكون تقسيمه للحدود الزمنية بين تصاميم الشعر خاضعا لأحداث تاريخية متتالية عبر الزمن دون الاعتبار للحدود الفنية والأدبية.

*المرحلة الأولى: أطلق عليها شعر المنابر وكانت من أواخر القرن الماضي إلى سنة 1925م: ذلك لأنه يقوم على النصح والإرشاد واصطباغه بصبغة دينية يكثر فيها لفظ الإسلام والصلح والسلف وغيرها من الألفاظ الدينية، وقد كانت وسيلة هذا الشعر للتواصل مع الشعب هي الصحافة ذات اللسان العربي مثل (الأقدام)، (المنتقد)، (الشهاب).⁽³⁾ لأن هذه الصحف معروفة بتوجهها الإسلامي والقومي، وقد كان هذا التقسيم باعتبار المواضيع التي يتناولها، والمتناسبة مع متطلبات المرحلة في المحافظة على الهوية والحاجة الملحة إلى الأخوة ونبذ الفرقة.

ومن الوسائل أيضا ذكر سعد الله الدور الهام الذي لعبته المدرسة ذلك أن أكثر شعراء هذه الفترة كانوا معلمين مع اتصال مباشر بتلاميذهم

1 - ينظر: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص.36

2 أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص36.

3 - ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص:37.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر نموذج من شعر المناير للشاعر محمد القاني وهو أحد شيوخ الشعر الجزائري الكلاسيكي من قصيدة نشرت في جريدة "الأقدام"⁽¹⁾ الوطنية من بحر البسيط:

بَنِي الْجَزَائِرِ هَذَا الْمَوْتُ يَكْفِينَا لَقَدْ أَغْلَتْ بِحَبْلِ الْجَهْلِ أَيْدِينَا
بَنِي الْجَزَائِرِ هَذَا اللَّهُوْ أَوْقَعْنَا فِي سُوءِ مَهْلَكَةٍ عَمَّتْ نَوَادِينَا
بَنِي الْجَزَائِرِ هَذَا الْفَقْرُ أَفْقَدْنَا كُلَّ اللَّذَائِذِ حِينًا يَفْتَنِي حِينًا

ومن النماذج نذكر أيضا الشاعر الجنيد أحمد مكي الذي نقلته فرنسا إلى السودان لإدارة مدرسة هناك يقول في قصيدة عنوانها " شاعر في غربته"⁽²⁾ نظمت على بحر المجتث :

إِنْ مَلَّتْ لِلْعَرَبِ قَالُوا أَلِلْعَرَبِيِّ وَصَالَ.
أَوْ مَلَّتْ لِلسُّودِ قَالُوا دَا أْبَيْضِ مُخْتَالَ
أَوْ مَلَّتْ لِلْبَيْضِ قَالُوا صَفَاءَ هَذَا خَيَال
يَا لَيْتَ شِعْرِي لِمَاذَا هَذَا الْقَلَى وَالْمَقَالَ

*المرحلة الثانية: أطلق عليها شعر الأجراس "1925م" — "1936م".

استبدل الشعر الجزائري في هذه الفترة نغمته متماز "بالقرع والاهتزاز المباشر" تماشيا مع الظروف والمتغيرات الجديدة. رغم ذلك لم يحد عن طابع الإصلاح.

انبثق هذا التحول عن تحولات سياسية جذرية وميلاد جمعية العلماء المسلمين، كما شهدت بروز قطبين سياسيين وهما الحزبين الشيوعي والاشتراكي، كما ظهرت جريدة "البصائر" وزاد انتشار جريدة "الشهاب"⁽³⁾.

وأورد أيضا بأن الشعر في هذه الفترة اكتسب زادا جديدا وإنتاجا وفيرا لم يكتب له منذ قرن وراح يدق الأجراس متماشيا مع التيار الوطني المتدفق من نفسية الشعب، ويصفه بأنه يحمل قلق الشعب وحيرته من هذه التغيرات السياسية المتتالية التي لم يعهدها الشعب من قبل، كما أورد نموذج لمحمد العيد آل خليفة يخاطب فيه الشعب الجزائري قائلاً على وزن الخفيف:⁽⁴⁾

أَيُّهَا الشَّعْبُ فِيمَ نُوسِّعُ قَهْرًا لَيْتَ شِعْرِي لِأَيِّ أَمْرٍ نُقَاد
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَصِيرُ عُنِيدًا وَلِأَهْلِيكَ بِالنُّفُوسِ إِعْتَدَاد

وفي قصيدة أخرى يقول الشاعر على وزن المتدارك:⁽⁵⁾

نَحَّ عَلَى أُمَّةٍ حَظَهَا تَاعَس
أُمَّةٌ مَجْدَهَا دَارِجٌ دَارَس
أُمَّةٌ مَا لَهَا قَائِدٌ سَائَس
قَدْ نَبَا سَيْفُهَا وَكَبَا الْفَارَس
خَصَمَهَا دَائِبٌ فَوْقَهَا دَائَس

1 - أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص37.

2 - أبو سعد الله: المرجع نفسه، ص:38.

3 - ينظر: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص38.

4 - سعد الله: المرجع نفسه، ص:39.

5 - سعد الله: المرجع نفسه، ص:40.

وبنوها أخ لأخ بأخس

فَشَعْرَ الْأَجْرَاسِ يَبْدُو مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مُعْبَّرًا عَنْ قَلْقِ الشَّعْبِ وَتِيهَهُ بَيْنَ هَذِهِ الْمُنْتَغِيَّاتِ. وَذَكَرَ مِنْ الشُّعْرَاءِ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ أَيْضًا: مُحَمَّدَ الْأَمِينِ الْعُمُودِي، جُلُولَ الْبَدَوِيِّ، وَمُقَدِّي زَكْرِيَا.⁽¹⁾ وغيرهم من الشعراء الذين برزت كتاباتهم متأثرة بالأحداث والمتغيرات التي طرأت على الساحة السياسية.

خلاصة:

الناقد التاريخي سعد الله في هذا المقال يربط انبعاث الشعر في الجزائر بالظروف السياسية التي شهدتها تلك الفترة من ظهور التيار الإصلاحية متمثلا في جمعية العلماء المسلمين والتيار الوطني متبعا في ذلك الخطوات الحرفية لمنهج النقد التاريخي بإيعاز نشأة الشعر الجزائري للأحداث التاريخية ونشاط الحركة الوطنية التي صاحبت ظهوره فكان لها الدور الأكبر في غزارة الشعر والهام الشعراء، كما ربط موضوع الشعر بالبيئة السائدة آنذاك فعبر عن قلق الشعب وحيرته.

*المرحلة الثالثة: أطلق عليها شعر البناء: "1936م" – "1945م". أفرد هذا المقال لبيان تربع الشاعر محمد العيد آل خليفة على أبواب الشعر في هذه المرحلة لأنه الوحيد الذي بقي في الشعر على عكس غيره من الشعراء الذين طرقتوا باب النثر.⁽²⁾

انعقد ولأول مرة في الجزائر مؤتمرا شعبيا حضره الآلاف من المواطنين واشترك فيه العديد من الهيئات الوطنية وتحدث فيه الكثير من الخطباء عن تاريخ الجزائر وحاضرها ووصفوا آلام الشعب وآماله، فتكلم الشعراء فهيجوا الحماس وحركوا كوامن النفوس وتغنوا بالوحدة والنضال في سبيل الوطن فقد كان هذا المؤتمر نقطة تحول كبيرة في انطلاق مسيرة الكفاح الجزائري نتيجة لما أثاره من قضايا، و تبيد سراب دعاة الاندماج والذوبان، فقد حفر هوة كبيرة بين الاحتلال والشعب. بالإضافة إلى مشاركة العديد من الجزائريين في الحرب العالمية الثانية مما أدى إلى انبثاقات شعبية وتطلعات نحو غد جديد.

أمام كل هذه المؤثرات وغيرها من التي أعقبت انعقاد المؤتمر ما كان من الشعر إلا الدعوة إلى الوحدة الشعبية والتحرر من الماضي البغيض، والمواجهة الصريحة والمباشرة للعدو، والدعوة إلى توحيد الكلمة وبناء الصفوف فسميت "بشعر البناء"⁽³⁾، ومن أمثلته ما قاله محمد العيد معرضا بالخونة والرجعيين⁽⁴⁾ على وزن البسيط.

قَفْ حَيْثُ شَعْبَكَ مَهْمَا كَانَ مَوْقِفُهُ أَوْ لَا فَإِنَّكَ عَضُوٌّ مِنْهُ مُنْسَجِمٌ.

تَقُولُ أَضْحَى شَتَيْتُ الرَّأْيَ مُنْقَسِمًا وَأَنْتِ عَنِ شَتَيْتِ الرَّأْيِ مُنْقَسِمِ

ويستمر في القصيدة متغنيا بالجزائر كوطن مقدس والرضا بالبقاء فيه مهما كان جحيما:
وَهَبْتُكَ رُوجِي يَا جَزَائِرَ فَأَمْرِي كَمَا شَتَيْتِ إِنْ خَاضِعَ لَكَ خَادِمٌ

¹ - ينظر: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 40.

² - ينظر: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 40.

³ - أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 42.

⁴ - أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص: 42.

حَمَاكَ رَبِّيعٌ وَإِنْ كَانَ جَاجِمًا عَلَى وَهْلٍ يُصَلِّي خَلِيلَكَ جَاجِمًا

*المرحلة الرابعة: أطلق عليها شعر الهدف "1945 – 1954".

تعد مجازر 8 ماي 1945م التي راح ضحيتها أكثر من أربعين ألف شهيد شرارة أوقدت نار التحرر في قلوب الجزائريين وأمن الشعب من خلالها بأنه لا أمل في التحرر من غير سلاح، وظهرت بفضل هذه المجازر ألحان الحرية والضحايا والاستقلال والعلم يرفرف. فظهر عدد آخر من الشعراء في مقدمتهم " الربيع بوشامة" و"موسى الأحمدي" و"حسن حموتن" و"الأخضر السائحي" على غرار محمد العيد آل خليفة وأحمد سحنون⁽¹⁾. الذين كانت أشعارهم تلهب نار التحرر والاستقلال في نفوس الجزائريين .

كما تنوعت قضايا الشعر في هذه الفترة بحسب الهدف المنشود من بينها قضية فلسطين وأحداث الشرق العربي وغيرها من القضايا الاجتماعية المعاصرة والقضايا التعليمية الإصلاحية، ففي سنة 1951م نشرت قصيدة طويلة من بحر الطويل (إلى العلم) للشاعر أحمد سحنون يقول في مطلعها:⁽²⁾

أَرَاكَ بِلَا جَدْوَى تَضْحُجُ مِنْ الظُّلْمِ إِلَى الْعِلْمِ إِنْ رَمَتْ النَّجَاةُ إِلَى الْعِلْمِ.

*المرحلة الخامسة: شعر الثورة "1954":

كان لاشتعال الثورة أثر واضح في لهب العواطف وهز المشاعر وفتحت أمام الشعر آفاقا، فتفجرت عواطف الشعراء بشعر ثوري عارم يسجل انتصارات الثورة ويبيشر بالاستقلال والغد الحر، ويتغنى بالوطن والحرية.

تميز الشعر في هذه الفترة بالروح الوطنية والحماس الملهب والعواطف الجامحة. فنذكر من الشعراء على سبيل المثال لا الحصر "أحمد الباتني"، "محمد الصالح باوية"، "صالح خرفي"، "أبو القاسم خمار"، "عبد السلام حبيب" و"عبد الرحمن الزناقي" والمجال لا يسعنا لذكر إنتاجهم الشعري ونعزي ذلك لحاجتنا إلى آليات المنهج التاريخي إذ يقول سعد الله " ولكن نتعرض لشعرهم هنا لأن هدفنا هو التأريخ للشعر الحديث منتبعين مراحل وأصوله"⁽³⁾ من خلال تقصي إنتاجات الشعراء خلال هذه الفترة والدور الذي لعبه الشعر في التأريخ للأحداث.

خلاصة:

بعد التعرض لهذا المقال تحت عنوان "تصميم الشعر الجزائري" نرى بأن المؤلف قسم الشعر الجزائري بهذا التصميم وفق مراحل ظهوره ونشأته تتبعا زمنيا تاريخيا لا وفق الموضوعات التي يتناولها و يتطرق لها. متتبعا إجراءات النقد التاريخي وهي " المرحلة أو الفترة". من خلال تقسيم مراحل نشأته إلى أربعة مراحل ، وذلك على أساس الحوادث التاريخية التي تتحكم في ذلك التصميم.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص:42.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص:43.

³ - أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:46.

كما ظهر جلياً تأثر ظهور الشعر الجزائري بالأحداث التاريخية فتطورت موضوعاته تبعاً لمتطلبات الأحداث التاريخية ولم تكن مرتبطة بفترة زمنية.

الموضوع الثالث: شخصية البطل.

يطرح تساؤلات عن تأثير الاستعمار في ركود الأدب، وما مدى صحة أن ندعي بأن الجزائر البلد العربي العريق خالية من الأدب والأدباء، لأنها عانت الاستعمار والحرب والظروف؟ فالكاتب هنا يعاتب الفاشلين الذي يعلقون هذه الشماعة على قلة إنتاجهم الأدبي، ويتحججون بالظروف كلما جمعهم ملتقى أو مؤتمر وهو سجالهم في الصحف والمجالس الأدبية. يجيب سعد الله " بأن الاستعمار لا يقتل الأدب بل يلونه بألوان مختلفة فيخلق مثلاً أدب الرمز والأدب المنحرف والشاذ، ويخلق الصراع بين الأدب المتحرر والرجعي" (1) فالحرب ميدان لتوسع مجالات الأدب وزخامة الانتاج، كما تعد أرضاً خصبة لظهور المدارس الأدبية الكبرى كالرومانتيكية والواقعية، والتيارات الاجتماعية من ارسنقراطية وبرجوازية واشتراكية، كلها ممتنة للحرب في تشكيلها، حيث دلل بأمثلة من كتاب جزائريين وغيرهم ممن صنعت منهم الحرب والظروف كتاباً وأدباءً من أمثال طاغور وماركس وشكسبير وشوقي ومحمد العيد وابن باديس وغيرهم. (2) حيث تعرض سعد الله إلى شخصية البطل في جل الأجناس الأدبية شعراً كانت أو نثراً.

● عالج الدكتور ظاهرة البطل في الرواية والقصة الجزائرية ودوره في تحدي الظروف القاسية ومكابدة الاستعمار الذي لم يثني المواطن الجزائري عن العيش ومعايشتها بالأمها وأمالها في الاستقلال والحرية.

ساهمت ظروف الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى في ظهور المذهب الواقعي الذي وجد فيه الكتاب مجالاً للتعبير عن واقع بلادهم بما فيه من متناقضات وعزلة وحرمان. فعالج النثر الجزائري في تلك الفترة موضوعات كالفقر والتعليم والهجرة. فاستخدم الكاتب الأبطال تلك المشكلات مصورين من خلالهم الحياة الاجتماعية ببؤسها وحاجتها وشعورها بالألم والمعاناة مثل " عمر " بطل محمد ديب في رواية (البيت الكبير) و(الحريق). و " غادة " بطلة رواية " غادة أم القرى " لأحمد رضا حوحو "1947م" ف " غادة " فتاة حرمت لذة العلم وممارسة حقوقها الطبيعية كإنسانة من ناحية وامرأة من ناحية أخرى.

صار أثر البطل أكثر تأثير في القصة والأقصوصة مجسداً لفكرة الوطنية ضد " الخيانة ". فخيبة أمل الجزائريين من الحلفاء بعد الحرب العالمية ومجازر 8 ماي 1945م، ولد شعوراً عميقاً بالكراهية للاحتلال. فمثل هذه الفترة أبطال أحمد عاشور. وأبطال يوم الجلاء، وزواج عصري، والرجلان والاندماج وزوجة أوربية. (3)

1 - أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:56.

2 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:56.

3 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:60.

- بعد الثورة مباشرة صدرت مسرحية "الحاجز الأخير" لمصطفى الأشرف. إذ تصور الشعب الجزائري متخلصا من حيرته وتعطي الإشارة للمعركة الفاصلة والمأساة التي يعيشها الشعب منذ حملوا السلاح⁽¹⁾
- الأدب الشعبي: لقد كانت شخصية البطل في الأدب الشعبي حاضرة التأثير ذلك لأهمية الأدب الشعبي لدى الجزائريين، فهم لا يستغنون عنه في أسماهم وأفراحهم وأتراحهم، في جدهم وهزلهم كم يعد مصدرا من مصادر طرائف وروافد حكمتهم ومورد أمثالهم. وكان أبطاله من أمثال أبي زيد الهلالي والجازية وبوسعدية والزناتي تزخر بهم أساطير الشعب سواء في الشعر أو النثر.⁽²⁾
- الشعر: إن الشعر هو أولى الفنون بتصوير البطل وتجسيد البطولات والملاحم من خلال تصوراته وقوة الخيال فيه، وقوة العاطفة وحرارتها التي تجذب القارئ وترغبه في شخصية البطل.

تساءل الكاتب هنا عن مدى تصوير الشعر الجزائري لشخصية البطل " وهل عامله معاملة أسطورية خارقة؟ هل استفاد من تطور الزمن والأحداث فجعل البطل وليد هذا الزمن وتلك الأحداث؟"³ ما نلاحظه هو تدرج الشعر الجزائري في تمجيد الأبطال من خلال انتقاله من تمجيد الأشخاص لينتهي به الأمر إلى تجسيد البطولة في صورة للمبادئ والأفكار لا في صورة الأشخاص أو ما يسميهم سعد الله "أصنام الأحلام".⁽⁴⁾

خلاصة:

لقد بدت مصطلحات النقد التاريخي متجلية واضحة من خلال :

- تعرضه للنشأة والتطور عبر تساؤله عن ركود الأدب وإيعازه لوجود الاستعمار فأجاب من خلال تطرقه لموضوع البطل فرفض تبرير ضعف الأدب بوجود الاستعمار، و أورد بأن الأدب يتأثر بالاستعمار ويتلون بألوان الظروف المحيطة به.
 - معالجة ظاهرة البطل في الأدب الجزائري كشخصية رمز، وشخصية تاريخية لها تأثيرها في المجتمع من خلال رفعه إلى مراتب القديسين والأنبياء والخرافيين ، وكيف انتقل الأدب من تصوير شخصية البطل إلى تصوير المبادئ والأفكار، كما تعرض إلى دور الزمن والأحداث في تغيير تصوير شخصية البطل كما في تساؤله المطروح سابقا.
- الموضوع الرابع: الغزل في الشعر الجزائري.**

إن الحديث عن الغزل في الشعر الجزائري يستجدي التعرض إلى الطابع الاجتماعي السائد في المجتمع الجزائري الذي يمتاز بالمحافظة والتدين والإيمان العميق بمقوماته إلى أبعد الحدود "فهو مجتمع مرتبط إلى تقليده وعاداته ارتباطا عقائديا يكاد يكون أعمى"⁽⁵⁾.

1 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 66.

2 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 67.

3 - أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص: 67.

4 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 67.

5 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص: 73.

كما نتطرق إلى الظروف السياسية للمجتمع الجزائري إبان الاحتلال فقد كان الشعب يعاني ويلات الاستعمار من احتلال ومحاربة للثقافة العربية ومحاولة طمس المقومات الدينية، كل هذه العناصر المذكورة كانت مبررات كافية لعدم وجود الغزل في الشعر الجزائري إلا ما ندر وهنا نذكر قول الشاعر القلاني في الاعتذار عن الغزل في قصيدة له من بحر الوافر:

أَلَا فَدَعِ التَّغْزَلَ فِي غَوَانٍ فَبَلِّغْ طَرِيقَةَ الْمُسْتَهْتَرِينَ
فَمِنْ صَوْتِ الْبِلَادِ لَنَا نِدَاءٌ يَكَادُ الْمَرْءُ يَسْمَعُهُ أَنْبِيَاءُ (1)

فالشاعر يرى أن الغزل خروج عن قيود المجتمع لا عن طبيعة الشعر.

ظهرت لدى الشعراء ما يعرف " بالتعويض " لأن الشعراء الجزائريين قد استعاضوا عن الغزل بالمرأة غزلا آخر " هربا من سلطة المجتمع وإرهاب الاحتلال ويظهر ذلك في شعر ذهب الى حب الوطن ووصف الطبيعة إذ نتعرض لنموذجين أحدهما لمفدي زكريا (1927م) (2)

الْحُبُّ أَرْقَنِي وَالْبُعْدُ أَضْنَانِي وَالْبَيْنُ ضَاعَفَ الْآمِي وَأَشْجَانِي.

وتستمر القصيدة التي من بحر البسيط على هذا النحو ولا تخرج عن الغزل والهوى كما يبدو لكنه ما يلبث أن يقول:

رَفَقًا بِبِلَادِي فَأَنْتِ الْكُونُ أَجْمَعُهُ لَوْلَاكَ كُنْتُ بِبِلَادِي هَالِكًا فَانِي. (3)

والثاني الشاعر أحمد الباتني "1952م" في قصيدة له بعنوان "بلادي هوأي" من بحر الخفيف مطلعها (4)

كَيْفَ أَسْلُوكَ مَنِيَةَ الْوُجْدَانِ أَوْ أَجَافِيكَ وَالْهَوَى يَنْهَانِي
كَيْفَ وَالْحُبِّ فِي الْفُؤَادِ مَكِينٍ أَنْتَعَدَّاكَ نَحْوَ حُبِّ ثَانٍ
عِشْ كَمَا شِئْتِ يَا فُؤَادِي بِحُبِّ قُدْسِي مُطَهَّرُ رُوحَانِي .

فعند الاستمرار في قراءة هذه القصيدة تطربنا بموسيقاها العذبة وكلماتها التي تغازل الهوى وتلذذنا بعذاباته وتأوهاتة، لكننا نصطدم بغرض الشاعر وهو الحنين من خلال عنوان القصيدة، كما ذكر بأنه يوجد نماذج أخرى للشعر التعويضي في (ليلي المطلقة) للحفناوي هالي، و(يا هزاري) لمحمد العيد. (5)

هناك سبب آخر في ضعف الغزل وندرته في الشعر الجزائري وهو الجفاف النفسي والاجتماعي " فالترف والمرح والفراغ وغيرها من الألفاظ الناعمة، لا يعرفها الجزائريون - طبقة الشعراء - " (6) . كلها ألفظ تعبر عن الترف والبذخ وتبعث على الغزل. ولكن فراغ المواطن الجزائري فراغ فراغ من نوع آخر في الأعمال الشاقة في سجن بربروس ، وابتسامة المرارة التي خلفتها وطأة الاحتلال

1 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:75.

2 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:76.

3 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:76.

4 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:76.

5 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:76.

6 - أبو القاسم سعدالله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص:77.

رغم جمال الطبيعة الجزائرية وروعها وقمة جمالها وقدرتها على التأثير وبعث ألفاظ العاطفة والحب إلا أنها لم تكن قادرة على ذلك. إلا بما صدر من كتاب الجزائر باللغة الفرنسية، فهم كانوا أجراً من إخوانهم باللسان العربي.⁽¹⁾

الموضوع الخامس: محاولات أبي القاسم سعد الله في النقد الأدبي.

هو سؤال طالما تبادر إلى ذهن القارئ وإشكالية طالما ألحت على الكاتب سعد الله إلا أنه لم يستطع الإجابة عليه لأن ذلك "يقتضي دراسة دقيقة لكل الإمكانيات الفكرية منذ بدأنا نتحرر من رواسب الماضي في المقالة والقصة.." ⁽²⁾، كما يرى أنه من الخيال الحديث عن النقد ونحن لا نكاد نعترف بأنه هناك نتاج أدبي جزائري فالأدب الجزائري مازال متخلفاً من حيث الكم والموضوع، فلا توجد هناك قصة توفرت فيها شروط القصة من حيث مكوناتها وتقنياتها، ولا وجود لشعر يحاكي عواطف الشعب ويتطور وفق تغيرها، كما لم يوجد هناك مسرح يترجم الواقع المرير للشعب الجزائري ولا يواكب المرحلة التاريخية المعاشة.⁽³⁾

رغم ذلك فإنه لا يمكن إنكار وجود محاولات في الأدب في الشعر والقصة مثلاً، وما دمنا نقر بذلك فحري بنا أن نعترف بوجود محاولات نقدية تتلاءم ومستوى المحاولات الأدبية الموجودة آنذاك.

ما ينفك الدكتور أبو القاسم سعد الله يكرس أسس المنهج التاريخي في النقد الأدبي في كل موضوع يكتبه فعلى الرغم من أنه يقر بضعف المحاولات النقدية إلا أنه لا يبتعد عن مصطلحي " المرحلة " و " الفترة الزمنية " التي يعتبرها أداة أساسية في كتاباته النقدية، فيستعرض المحاولات النقدية وفق أربعة مراحل:

- يمثل المرحلة الأولى من الشيوخ من كانوا ضد كل ما هو جديد والشك في قيمته الفنية والموضوعية والميل إلى القديم لا من باب التخليد بل من باب القومية والحفاظ على التراث وزعماء هذه المرحلة الشيخ أبو القاسم الحفناوي والشيخ عبد القادر المجاوي والمولود بن الموهوب ومحمد بن أبي شنب من خلال الدروس والمحاضرات التي كانوا يلقونها في الثعالبية ونادي صالح باي.⁽⁴⁾
- أما المرحلة الثانية فيمثلها الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال تدريس تلاميذه طرائق الأدب وأساليبه، فقد كان يمتاز بالحدق والبراعة، حيث كان يدعو تلاميذه والأخذين بثقافته إلى القديم والجديد معاً فيأخذ من القديم محاسنه ورزاقته، ومن الجديد طلاقته وتطوره.⁽⁵⁾
- أما المرحلة الثالثة فقد مثلها الشيخ البشير الإبراهيمي الذي تميز عن ابن باديس بالكتابة من خلال الصحافة وبالخصوص جريدة البصائر مما أعطته ميزة الميل للنقد والتوجيه، فقد نشرت جريدة البصائر - بإرشاده - شروطاً للأدباء والكتاب الذين يرغبون في التحرير، وقد كان الإبراهيمي ذا

1 - ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص: 78.

2 - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 79.

3 - ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص: 80.

4 - ينظر: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 79، 80.

5 - ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص: 80.

صلة بالجيل فكانوا يتحدثون إليه في شؤون الأدب قديما وحديثا وينشدون الشعر بين يديه، فيصوبهم وينتقدهم بشدة مشيرا إلى مواطن الضعف ويطلعهم على نماذج الشعر قديما وحديثا فيزداد الجيل إغراء به وبما امتاز به لسانه من طلاقة وبيان.⁽¹⁾

- المرحلة الرابعة والأخيرة هي مرحلة الجيل الذي أخذ العلم من عبد الحميد بن باديس وامتلك البيان على الأبراهيمي فتصدر هذه المرحلة بعد الحرب العالمية الثانية، وبالرغم من تكوين هذا الجيل بين القديم والجديد إلا أنه بدأ يتحرر في أسلوبه وموضوعاته، فظهر المذهب الواقعي في إنتاج أحمد رضا حوحو والمذهب السلوكي على إنتاج أحمد بن زياب. بيد أن الشعر احتفظ بخصائصه الرومانتيكية وتبنى هذه المدرسة كل من حمزة بوكوشة وحوحو وعبد الوهاب بن منصور ومولود الطياب الذي كان أكثرهم نقدا وأقربهم إلى الموضوعية⁽²⁾.

- بعد هذه اللوحة عن مراحل النقد الأدبي فإننا نلاحظ ظهور النقد بشكل واضح في المرحلة الثانية والثالثة، ليبلغ أوجّه في المرحلة الرابعة حين تحرر الناقد من الصراع القائم بين القديم والحديث كما هو عليه في المراحل الأولى.

- هنا تتجلى آلية المنهج التاريخي في النقد عند أبي القاسم سعدالله في " نشأة " اللبنة الأولى للنقد والارهاصات الأولى والبدائية للعملية النقدية.

- " الفترة الزمنية " أو " المرحلة التي تتحكم فيها الظروف التاريخية دون تجنب ثنائية الصراع بين القديم والحديث وقد كان تقسيم المراحل تقسيما فنيا ولكنه لا يستطيع التملص من التقسيم الزمني أو التاريخي لمراحل تطور النقد الأدبي.

- كما أنه لا يمكننا تجاهل التأثير البارز للإصلاحيين ودوره في رسم مسار معين لموضوعات الكتاب والتأثير فيهم باعتبارهم طلبة تتلمذوا على أيديهم وهذا ظهور واضح لاستخدام مصطلح التأثير وتبادل التأثير.

الموضوع السادس: رضا حوحو ونضال الكلمة.

لقد كان أحمد رضا حوحو شخصية معروفة في عصره وله مكانته الأدبية حيث يعتبره سعد الله أبرز رواد النثر الجزائري، فأفرد له بحثا خصه به دون غيره من كتاب النثر العربي في الجزائر. وكان يلقبه بفقيد الأدب العربي في الجزائر الذي اغتاله الاستعمار الفرنسي سنة 1956. تعرض من خلال هذا البحث إلى حياته ودوره في حركة الأدب ثم تعرض إلى ميزات فنه التي بدت متأثرة بظروف حياته السياسية والاجتماعية المختلفة.⁽³⁾

ولد رضا حوحو وعاش حياته في بلدة سيدي عقبة المشهورة بضريح القائد العربي الكبير (عقبة بن نافع) فكانت تزدهم بالزوار من السياح والمريدين. مما جعله يميل إلى الأدب الاجتماعي ونقد

1 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 81.

2 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 81.

3 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 85.

تلك العادات العقائدية السيئة من خلال نشره أول مقال له بالمجلة العربية المصرية بعنوان " الطريقة في خدمة الاستعمار" (1)

كما أن تنقل حوحو بين البلدان وثقافتها المختلفة جعلت منه شخصية خصبة مليئة بالتجارب والتجاذبات والتيارات الدينية والأدبية وقد ساهمت في تحديد معالم شخصيته وقيمتها ومكانتها في الأدب العربي بالجزائر

- لقد تعرض سعد الله في بحثه عن حياة رضا حوحو إلى ظروفه الاجتماعية والسياسية لما لها من تأثير في حركة الأدب الجزائري عموماً والأجناس النثرية بصفة خاصة. وهذه من خصائص النقد التاريخي عن أبي القاسم سعدالله وما نسميه بـ " أداة التأثير والتأثر " التي لا تتجاوزها أي دراسة تاريخية سواء فنية أو نقدية أو سردية لأحداث معينة. (2)

- عمد سعد الله في هذا البحث إلى تقسيم مراحل تطور النثر العربي في الجزائر إلى فترات زمنية دقيقة إلى حد ما فالمرحلة الأولى انتهت بظهور جريدة الشهاب سنة 1925م والمرحلة الثانية انتهت بظهور البصائر سنة 1947م. لتترك المجال للمرحلة الثالثة الأغنى تجربة والأكثر إنتاجاً. فلقد عاصر رضا حوحو تغيرات المرحلة الأولى وسافر منتصف المرحلة الثانية إلى الحجاز أي سنة 1937م، وبعد عودته بعد سنوات لم يتغير شيئاً مما كان قد تركه في الشعارات والاتجاهات والقيادات أيضاً وهذا هو المبرر الحقيقي لمواقفه الوطنية. (3)

بعيدا عن المواقف السياسية يمكننا أن نلخص مظاهر تأثر النثر العربي الجزائري وتبادل التأثير من الناحية النقدية المتمثلة في كتابات رضا حوحو وفق النقاط التالية:

- صدور أول قصة له سنة 1947 بعنوان "غادة أم القرى". مما جعله يعد السباق إلى فن القصة
- أمد الصحافة العربية بالكثير من المقالات الاجتماعية والنقدية، مما ساهم في حركة التأليف والترجمة. (4)
- أسهم في المسرح بأسلوبه الساخر ونقده اللاذع لأوضاعنا الاجتماعية والسياسية فقدم عدّة روايات فكاهية بالفصحى والعامية، كما كان يقوم بنقد الأعمال المقدمة أيضاً.
- كتابته لعدة مقالات نقدية لشخصيات جزائرية تحت عنوان (في الميزان) نشرها في أعوامه الأخيرة. (5)

الموضوع السابع: كُتَاب الجزائر بالفرنسية.

هو مقال مترجم للناقد الأمريكي (جورج جوايو) وخصصه للحديث عن الأدب الجزائري باللسان الفرنسي بغية وضع القارئ للأدب العربي في الجزائر في صورة متكاملة عن أدب الجزائر المعاصر، من خلال التعرض لكل من الأدباء: محمد ديب، كاتب ياسين، وادريس الشرايبي. (6)

1 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص: 86.

2 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص: 86.

3 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص: 87.

4 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص: 92.

5 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 92.

6 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 95.

من خلال قراءتنا لهذا المقال نرى أن الدكتور أبا القاسم سعد الله ترجم هذا البحث ليعرض لنا مدى تأثر أدب الشمال الإفريقي بالأدب الأجنبية، من تبادل التأثير والتأثر بين ثقافتين متعاصرتين في نفس البلد. وفي بيان مدى التأثر في الأدب الجزائري يقول رضا حوحو متأثراً بفكتور هيجو في "بؤساءه" قرأت الفقر لفكتور هيجو، وكانت نفسه تطالعني ما بين السطور. فاختلفت حيرتي بحيرته، وآلامه بالآمي فأسرعت أكتب عن الفقراء بالعربية ما كتبه هيجو بالفرنسية.

لقد بدأ تأثر محمد ديب بارزا من خلال ثلاثيته القصصية: "الدار الكبيرة" عام 1952م التي تعالج حالة الفقر المدقع الذي تعانيه الطبقة العاملة على طريقة باسوس وشتينبيك. وظهرت "الحريق" عام 1954م و"المنسج" ظهرت عام 1957م مرتكزا في عناصر ثلاثيته على حاجة الشعب الملحة في استرجاع كرامته البشرية.⁽¹⁾

أما ادريس الشرايبي فقد ولد بالمغرب الأقصى عام 1926 من عائلة تنتمي إلى الطبقة الوسطى يعيش في فرنسا. فقد كان حريا به التأثر باللسان الفرنسي وبالثقافة الفرنسية وأورد سعد الله ذلك قائلا " ولقد كانت تجربته في فرنسا مصدر وحي لأحسن قصة كتبها الشرايبي حتى الآن وهي قصة (البهائم) التي ظهرت عام 1955م². حيث يعتبرها الدكتور سعدالله وثيقة تاريخية تعبر عن حياة مهاجري إفريقيا الشمالية. فقد تأثر شرايبي في عمله القصصي بفولكنر من خلال استعمال الحوار الداخلي وتناوله فكرة الزمن⁽³⁾.

أما كاتب ياسين ابن مدينة قسنطينة المولود في 1929 صاحب رواية (نجمة) التي نشرت عام 1956م إذ تعتبر أحسن شاهد على ميلاد الجزائر الجديدة، وهي رواية تذكرنا بفولكنر وطريقته في تناول الزمن وذلك بعودتها المتتابعة إلى الماضي⁽⁴⁾.

الموضوع الثامن: القضايا العربية في الأدب الجزائري.

رغم البعد الجغرافي بين الجزائر والمشرق العربي واختلاف المستعمر في طريقته ولغته إلا أن الجزائر ظلت مرتبطة بالمشرق العربي في فكرها وأدبها وهذا ما عبر عنه أحد شعراء الجزائر⁽⁵⁾ في قصيدة على وزن الخفيف:

يَا شَبَابُ إِنَّجِهْ إِلَى الشَّرْقِ وَاحْفَظْ كُلُّ كَنْزٍ لَهُ إِلَيْهِ إِنْتِسَابُ
إِنَّمَا الشَّرْقُ لِلْعُرُوبَةِ كَهْفٌ أَمِنْ الظِّلِّ بِالْأَدَى لَا يُصَابُ
إِنَّمَا الشَّرْقُ نِسْبَةٌ الْعَرَبِ الْأَحْرَا رِ لَمْ تَنْقَطِعْ لَهَا أَسْنَابُ

بعد قراءتنا لهذا الموضوع تبين أن أدباء الجزائر وشعراءها لم يكونوا بعيدين عن مناسبات وقضايا الأمة العربية والتي أجّلها القضية الفلسطينية. وهذا ما يعمد إليه مصطلح المناسبة في النقد التاريخي فالشعر مرآة الأحداث وانعكاسها فيه. طبعاً لا ننسى الأهمية التاريخية لفلسطين التي تعد وصية الأنبياء و أمانة شهداء الثورة التحريرية فكان من البديهي أن تستهوي الكتاب والأدباء

1 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 97.

2 - أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص: 100.

3 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 102.

4 - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 104.

5 ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 108.

والمفكرين كحدث تاريخي أمثال: ابن باديس، والمدني، والابراهيمى، والعقبي، محمد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر مقالات شيخ أدباء الجزائر محمد البشير الابراهيمى بافتتاحياته في (البصائر) كلها عاطفة وهاجة يدعو فيها الشعب الجزائري إلى البذل والعطاء ومشاركة الشعب العربي قضيته القومية⁽¹⁾ وهذا تأكيد واضح على تأثير بعض الشخصيات في توجيه مواضيع الأدب ودور النص الأدبي في التأريخ للأحداث ودلالة واضحة على دور وأهمية منهج النقد التاريخي لدراسة النصوص.

كما كتب الجزائريون عن قيام الجامعة العربية واعتبروا عيدها عيدا تاريخيا احتفوا به في صحفهم وانتاجاتهم الأدبية المختلفة، فأورد سعد الله في آخر هذا المقال مقولة بالمناسبة " ... عيد العروبة عيد أمل ورجاء... تشارك فيه الجزائر العربية مشاركة الراغب في التحرر، المتضامن مع بني جنسه العاملين للتحرر.."⁽²⁾

الموضوع العاشر: الجمعيات والنوادي.

الهدف من حديثه عن الجمعيات والنوادي ذكر الأهمية الكبرى التي لعبتها في إزالة الرواسب الاستعمارية التي علقت في كل مجالات الحياة الجزائرية. وإعطائنا فكرة عامة عن النشاط الفكري والعمل الاصلاحى في الجزائر قبيل الثورة.⁽³⁾

ما يهمننا من الناحية الأدبية والثقافية هي أن هذه النوادي والجمعيات كانت ملتقى الشعراء والخطباء ومن أبرز هذه النوادي "نادي الترقى" الذي احتضن الحركة الوطنية منذ "1927م"، وعقدت فيه المؤتمرات الهامة وتلقى فيه الخطب الحماسية والقصائد الرائعة والبحوث الهامة، وممن لمع فيه من الشعراء نذكر: محمد العيد، والعمودي، و بوكوشة، و الزاهري السنوسي، والبدوي... وقد قال فيه محمد العيد مخاطبا⁴: " الكامل"

صَفَتْ بِسَاحَتِكَ الْوُجُوهَ وَرَدَدَتْ فِيكَ الْحَكَمَ
فَرَأَيْتُ مَا يَجْلُو أَلْعَمَى وَسَمِعْتُ مَا يَجْلُو أَلْصَمَمَ
وَدَخَلْتَ ضِلَّكَ أَسْتَجِيرُ بِهِ وَأَنْعَمَى مِنْ أَمِّمِ

وَأَتَيْتُ مَيْدَانَ اللِّسَانِ بِهِ وَمَيْدَانَ الْقَلَمِ. وبعده انتشرت النوادي والجمعيات بكثرة بعد نادي الترقى وكثر روادها من الشعراء والخطباء فنذكر على سبيل المثال "نادي النهضة" 1932م و(نادي التقدم) "1935" بمدينة البليدة يتوافد لهما الأدباء والقادة يخطبون ويسمرون وفيها يقول محمد العيد⁽⁵⁾:

قل للخطيب به دعوت مليبا وعنت لك الأذان والأحداق. "الكامل"
نادي(البليدة) محتويك وطيرها مصغ إليك وماؤها صفاق

¹ ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:108.

² ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:111.

³ ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:120.

⁴ أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص:116.

⁵ أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص:117.

دوخ به الخبراء فهو أريكة واصعد به الخضراء فهو براق.

وقال في ناد التقدم⁽¹⁾: " الطويل "

منار به صوت العروبة يعتلي وكهف به نشء البليدة يحتمي

وغيل منيع فانزلوه وأقبلوا عليه تباعا ضيغم إثر ضيغم

والكثير من النوادي والجمعيات في مختلف مناطق الوطن: نادي العمل(1936م بسكيكدة، (نادي الاخوة) في شرشال، (نادي ابن باديس) بقسنطينة أوردها سعد الله في مؤلفه هذا ليس من باب العد والاحصاء وإنما لبيان أثرها في الحفاظ على هوية الشعب ومقومات الوطن، فكانت تستهوي الخطباء والشعراء يقولون أشعارهم في مناسباتها، وهو دلالة على استخدام مصطلح المناسبة ومصطلح الأثر والتأثير على الأدباء.... ويظهر هذا جليا في جمعية العلماء المسلمين من خلال صحفها كالمنتقد والبصائر التي كان روادها يوجهون الشعراء والخطباء من خلالها.⁽²⁾ فكان الجمعيات والنوادي حدثا هاما شارك في تطور موضوعات الشعر الجزائري وغزارته.

الموضوع الحادي عشر: الملاحم.

هو آخر موضوع ختم به سعد الله كتابه تحدث فيه عن دور الملاحم والبطولات التاريخية التي كانت مصدر إلهام المفكرين والمبدعين، كما استفزت حرب طروادة هوميروس فكتبها باليادته، واستنهضت الحروب الجاهلية "عنتره" باليادته التي تعتبر أول إياداة عربية وعاهها التاريخ.⁽³⁾

لا نطيل في هذا الموضوع كثيرا - على الرغم من أهميته بالنسبة لبحثنا- ، بسبب الحيرة التي تعترى سعدالله حين رأى أن بطولات الثورة الجزائرية وملاحم الشعب التاريخية لم توظف صوتا لخطيب ولم تذرف دموعا ، ولم تسل حبرا لصحيفة . والبحث عن هذه الاجابة ليست من اختصاص موضوع مذكرتنا.

¹ - أبو القاسم سعدالله: المرجع نفسه، ص:117.

² - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:118.

³ - ينظر: أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص:122.

خاتمة

خاتمة

في الأخير وليس آخرًا بعد الخوض والبحث في موضوع منهج النقد التاريخي عند أبي القاسم سعد الله وتجلياته في كتاباته. والتعرض لخصائص وأدوات هذا المنهج ومدى التزامه بها. توصلنا إلى العديد من النتائج نذكر أهمها:

- يبدو أن منهج النقد التاريخي هو أهم وأشمل المناهج السياقية التي تعنى بدراسة السياقات المحيطة بالعمل الأدبي، ذلك لأنه يولي أهمية لكل ما يحيط بالعمل الإبداعي سواء نفسيًا أو اجتماعيًا أو اقتصاديًا.
- للمنهج التاريخي أهمية كبرى من خلال التحقيق في النصوص الأدبية. ودور بالغ الأهمية في المحافظة على العمل الأدبي وإيصاله للقارئ بأمانة.
- نعتقد أن الكشف عن كنه المنهج التاريخي عند سعدالله كان ذاتيا دون التأثير برواده في الشرق أو في الغرب، وقد صرح به في مقدمة إحدى طبعات المدونة المدروسة، وربما نعزي ذلك إلى ميوله التاريخي لأنه كما هو معروف عن الدكتور أبو القاسم سعدالله بشيخ المؤرخين.
- جمع سعدالله بين التاريخ والأدب من خلال الكشف عن كثير من النصوص الأدبية التي كانت مختفية بغض النظر عن سبب عدم نشرها مستعينا بآليات التحقيق التاريخي للنصوص.
- ثبت أن الدكتور أبو القاسم سعد الله هو من أوائل النقاد الجزائريين الذين أسدلوا الستار عن المنهج التاريخي وقد حضي منهج النقد التاريخي بالكثير من الاهتمام من قبل العديد من الدارسين أمثال عبد الله الركبي وصالح خرفي ومحمد ناصر فكانت لهم العديد من المؤلفات الشاهدة على اهتمامهم به والاحتكام إليه.
- التزم سعد الله بالمنهج النقد التاريخي بكل تفاصيله اليومية بحيث أنه كلما يعرض لنص أدبي شعرا كان أو نثرا إلا وتعرض لتاريخ نشره والتغيرات التي طرأت عليه، وأسباب كتابته. وكلما تعرض لكاتب جزائري إلا وأردف مع ذلك الظروف التي يعيشها، والمؤثرات التي ألهمته للكتابة الفنية.

- لا تكاد تخلو أي دراسة نقدية للمؤلف سعدالله من مصطلحات النقد التاريخي ولو قمت بدراسة احصائية لثبت ذلك. والدليل على هذا ما تعرضنا له من خلال كتابه دراسات في الأدب الجزائري الحديث.
- لم يتقبل سعد الله فكرة أن الاستعمار سبب في ضعف الانتاج الأدبي بل هو دافع للتأليف والإنتاج الأدبي المعبر عن غطرسة المستعمر ومعاناة الشعوب وهو ما أثار صدمة سعد الله أثناء تعرضه لموضوع أرض الملاحم وتعجبه لعدم وجود ملاحم أدبية جزائرية على الرغم من أنها أرض البطولات والملاحم التاريخية مما يجعلنا نتساءل عن سبب هذه الظاهرة هل هي محض الصدفة، أو بفعل فاعل.
- إن مما يؤاخذ عليه المنهج التاريخي اهتمامه بالسياق الخارجي للنص وما يحيط به من أحداث فيتعامل مع النص وكأنه وثيقة تاريخية. كما يهمل النقد التاريخي الظاهرة الابداعية والقيمة الفنية للنص، ويذهب البعض إلى القول بأن التاريخ هو موت للنص الأدبي.

قائمة المصادر والمراجع

-المصادر :

1- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد، الجزائر، ط5، 2007م.

-المراجع:

- 1- ابراهيم السعافين، خليل الشيخ: النقد الأدبي الحديث، الشركة العربية، القاهرة، ط1، 2005م.
- 2- ابراهيم بن عبد العزيز السمري : اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ط 1 .
- 3- أحمد الحاج أنيسة: المسار النقدي لدى عبد الله الركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ، ط ، د ، ت .
- 4- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: " معجم العين "، دار الرشيد للنشر، بغداد ، جمهورية بغداد ، د/ط، 1981م.
- 5- أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، المجلد6، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2006.
- 6- جابر قميحة: منهج العقاد في التراجم الأدبية، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1980م.
- 7- صالح هويدي : النقد الأدبي الحديث ، قضاياها مناهجها ، منشورات جامعة السابع من أفريل ، ليبيا الطبعة الأولى ، سنة 1426 هـ .
- 8- صلاح فضل: مناهج النقد الأدبي، دار ميريث للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002م.
- 9- طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء ضمن سلسلة من تاريخ الأدب العربي لطفه حسين، المجلد الثالث، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت، 1974م
- 10- طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، الجزء 2، دار المعارف ، القاهرة ط 6، 1963م.
- 11- عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د ط ، 1962 م.
- 12- عبد الله ركيبي: فلسطين في الادب الجزائري الحديث ، دار صبرو للنشر ، سوريا ، د ط ، 1986م.
- 13- عبد الله الركيبي : القصة الجزائرية القصيرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، تونس ، د ط ، 1983 م.
- 14- عبد الله الركيبي : الشعر الديني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 1981 م .
- 15- عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1972 م.
- 16- عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010م.

- 17- علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي دراسة تحليلية تطبيقية، مكتبة نهض الشرق، القاهرة، ط2، 1996.
- 18- لانسون/ماييه، منهج البحث في الأدب واللغة، تر: محمد مندور، المركز القومي للترجمة، ع 2803، 2015م.
- 19- لانسون: منهج البحث في تاريخ الآداب، نقلا عن محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، د ط، دت .
- 20- مجمع اللغة العربية : معجم الوسيط ، الجزء الثاني ، مكتبة الدولية ، مصر ، ط4 ، سنة 1974م.
- 21- محمد مندور: في النقد الأدبي، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، الفجالة، القاهرة، د ط، دت .
- 22- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، د ط ، دت .
- 23- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ط2، دار الغرب الإسلامي، 2000م.
- 24- محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، مج 1 ، 1978 م .
- 25- محمود السمرة: سارق النار طه حسين، المؤسسة الوطنية للدراسات و النشر، د ط، دت .
- 26- ابن منظور ، لسان العرب : المجلد الثاني ، دار الفكر بيروت ، ط3 ، 1994 م ، مادة (ن، هـ ، ج) .
- 27- نجيب بن خيرة: أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة، الطبعة 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2014 .
- 28- يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبي مفاهيمها و أسسها تاريخها و روادها و تطبيقاتها العربية، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 1، 2007م.
- 29- يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية. رابطة إبداع الثقافية، جامعة قسنطينة، د ط، 2002م.
- 30- ابن قتيبة، الشعر و الشعراء: دار الكتب العلمية، بيروت، د ط ، دت .

المجلات والدوريات:

- 1- ابراهيم عبد الرحمان : تراث جماعة الديوان النقدي ، أصوله و مصادره و قراءة مقارنة ، مجلة فصول ، المجلد 3 ، العدد 4 ، 1983 م .
- 2- مريم خالدي: السيرة و المسيرة التعليمية للدكتور أبو القاسم سعد الله، المجلة الخلدونية للعلوم الانسانية و الاجتماعية، المجلد 9، العدد 1، 2016م.
- 3- عبد الله الاطرش: فاطمة يحياوي، النقد المسرحي عند أبي القاسم سعد الله ، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة باتنة 1 ، المجلد 21 العدد 2، ديسمبر 2022م.
- 4- عبد السلام حميدي و الشريف نهارى: المنجز النقدي عند أبي القاسم سعد الله قراءة في المنهج و المصطلح، المدونة، المجلد 08، ع 01، مارس 2019م.

- 5- فاتح زيوان: أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي، المجلة العربية، ع4، 2007م.
- 6- فاضل محمد عبد الله الزبيدي : المنهج النقدي عند طه حسين ، مجلة اللغة و الأدب العربي ، جامعة الكوفة ، العدد 5 ، 2008م.

الرسائل والأطروحات:

- 1- محمد شنوفي : تطور النقد المنهجي عند طه حسين، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي، تخصص نقد أدبي معاصر ، جامعة الجزائر ، 2006، 2005 م.
- 2- مريم خالدي: السيرة و المسيرة التعليمية للدكتور أبو القاسم سعد الله، المجلة الخلدونية للعلوم الانسانية و الاجتماعية، المجلد 9، العدد 01، 2016
- 3- نبيل مزوار : الحداثة النقدية في دراسة العقاد الشخصية ، الشعراء أنموذجاً أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي ، سطيف ، 2011، 2010 م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
أ	مقدمة
04	الفصل الأول : النقد التاريخي الخصائص والرواد .
05	تمهيد
06	المبحث الاول : مفهوم المنهج التاريخي ماهيته وخصائصه
09	المبحث الثاني : النقد التاريخي عند الغرب
14	المبحث الثالث : النقد التاريخي عند العرب
22	المبحث الرابع : رواد النقد التاريخي في الجزائر
27	الفصل الثاني : تجليات النقد التاريخي عند أبي القاسم سعد الله من خلال كتاب دراسات في الأدب الجزائري الحديث
28	تمهيد
29	المبحث الأول : أدوات ومصطلحات النقد التاريخي
31	المبحث الثاني : الدكتور أبو القاسم سعد الله حياته ومؤلفاته
36	المبحث الثالث : كتاب دراسات في الأدب الجزائري الحديث : بطاقة فنية
38	المبحث الرابع : - تجليات أدوات النقد التاريخي من خلال موضوعات الكتاب
54	خاتمة
57	قائمة المصادر والمراجع
61	فهرس الموضوعات

